صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول



العدد الاول
من
السنة السادسة

يناير ١٩٣٧

سير الحوادث

أزمة العرش البريطانى

نزل الملك ادوارد الثامن ملك بريطانيا عن العرش وتولى أخوه الملك جورج السادس. والسبب لنزول الأول هو حبه للمسز سمبسون ورغبته فى التزوج بها. ولكن الوزارة والكنيسة عارضتا هذا الزواج وأجبرتاه على ترك العرش

ويرى القارىء للصحف الانجليزية الأخيرة من التفاصيل ما يستحق أن يدرس سواء من الوجهة السياسية أم من الوجهة الاجتماعية

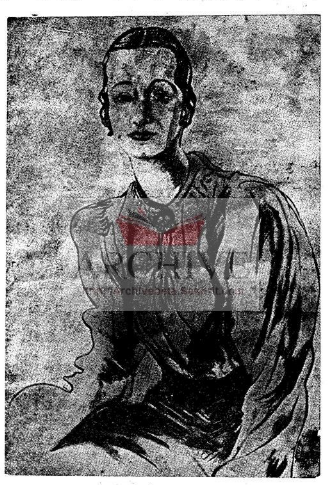
وأول ذلك أن هذا الزعيم اليقظ دى فاليرا قد انتهز هذه الفرصة فرصة الاختلاط والهرج عن العرش والملك وأعلن إلغاء منصب الحاكم العام البريطانى لأرلندا، كما أعلن أن بلاده قد أصبحت جمهورية. وقد حلمت ارلندا بهذا الحلم الجميل منذ أكثر من ٤٠٠ سنة. وها هو ذا الحلم يتحقق الآن



المسز سمبسون

وقد وثبت الكنيسة الانجليزية وثبة قوية نحو الاشتراك فى شئون الدولة باعتبار أنها عضو خطير فيها. فان كل انجليزى يعرف الآن ان الكنيسة هى التى أخرجت ادوارد عن عرشه لأنها رفضت أن تعقد له زواجا بامرأة مطلقة. وقد زادت بذلك سلطتها. ولكن كراهية الجمهور لها قد زادت أيضا للعبارات الجارحة التى استعملها الأساقفة فى التعليق على غرام الملك ادوارد وفى إصرارها على موقفها العدائى نحوه. وكل انجليزى مستنير يذكر ان

هذه الكنيسة انما بنيت على طلاق فكيف ترفض الآن قبول الطلاق . وذلك أن الملك هنرى الثامن قبل نحو ٤٠٠ سنة كان قد طلب من بابا رومية أن يصدق على طلاقه من زوجته . فأبى البابا



المسز سمبسون

فانفصلت الكنيسة الانجليزية من الكنيسة البابوية . وليس الملك ادوارد الثامن دون الملك هنرى الثامن فى الأخلاق أو فى النظر إلى الزوجات

وأعظم ما يؤخذ على الملك ادوارد انه عاشر المسز سمبسون وهي لا تزال متزوجة نحو عام . ولو أنه انتظر حتى طلقت ثم تزوجها لما اكتسب غضب الجمهور وكان عندئذ يمكنه أن يقف في وجه الكنيسة ولا يبالي الاصطدام بها ، ولكن الواقع أن الكنيسة اكتسبت معظم الجمهور في صفها عند ما عرف أنه كان يعاشرها وهي متزوجة لم تطلب الطلاق بعد . ولا يمكن جمهورا عرف الملكة ماري أن يقعد مكانها السيدة سمبسون

وقد أظهر المستر سمبسون من الوطنية ما جعله ينسى نفسه ويلغي شخصيته . فانه رضي بأن تدبر له عشيقة وهمية تجتمع به في فندق ويشهد الشهود على رؤيتها خارجة من غرفته ثم تستشهد المسز سمبسون بهؤلاء الشهود لطلب الطلاق . وتم تمثيل هذه الدرامة القذرة لكي تستطيع المسز سمبسون نيل الطلاق من المحكمة باتهام زوجها البريء بأنه قد ارتكب جريمة الزنا . وكان الملك ادوارد الثامن عارفا كل ذلك

وقد أصبح الملك ادوارد الدوق وندسور وغادر انجلترا . ولا يمكن من حيث الاعتبارات الشخصية أن نعده خاسراً فان عبء الملوكية متعب بل مرهق . وهو رجل غني يمكنه أن يعيش الآن حراً يستمتع بحرية شخصية لم يكن يحلم بها وهو على العرش

ولكن هذا العرش قد تزعزع لهذه الصدمة . فان الملوكية كانت في أذهان الانجليز أو أوهامهم مقدسة . وقد انقشع هذا الوهم وعاد الجمهور وإذا بالملك يشبه سائر الناس يخطيء ويضع لهوى فوق العقل . بل تحدث كثيرون عن الجمهورية ولا يزالون يتحدثون عنها

اسبانيا والخطر القادم

مضى على فرانكو ٥٤ يوما وهو يحاول عبثا الاستيلاء على مدريد . وجيش هذا القائد الثائر مؤلف في الأغلب من المغاربة ومن غير هؤلاء نحو ثلاثين الف جندي من الألمان والايطاليين والفرنسيين . أما جنوده الاسبان فقليلو العدد

وعند الحكومة نحو ثلاثين ألف جندي أجنبي أيضامن الفرنسيين والألمان والايطاليين والروس. وقد كان التفوق لفرانكو في بداية القتال من حيث الذخائر والطائرات والمدافع . ولكن روسيا وفرنسا كلتاهما أسعفت الحكومة فلم تعد تشكو قلة هذه الأشياء .ولذلك أصبحت القوتان متعادلتين وأصبح من المستبعد أن تتغلب احداهما على الاخرى . وأرجح الظن ان اسبانيا ستقسم قسمين أحدهما اشتراكي والآخر فاشي

وإذا وقفت المشكلة عند هذا الحد فان السلام يبقى سائدا لأوربا . ولكن يخشى كثيرا أن يؤدي التصادم بين القوات الاجنبية وخاصة بين الألمان والروس فى اسبانيا الى اشتعال الحرب بين روسيا وألمانيا فى أوربا . فقد باتت اسبانيا بمثابة الميدان الحربى تجرب فيه الاسلحة ويمتحن النظام وتدرس الخطط . كما ان التصادم بين البواخر والبوارج على سواحل اسبانيا يبعث من وقت لآخر شرراً قد يلهب الحريق المنتظر

فى الصين

حدثت فى خلال الشهر الماضى أزمة فى الصين كانت توشك أن تحدث حربا أهليـة تعد الثورة الاسبانية الى جنبها لعب أطفال . ولـكن حـكمة شيانج كاي شيك هدأت هذه الثورة

ويرى القارىء فى هذا العدد كلمتين منيرتين عن الصين احداها محاضرة القاها المستر كو الصينى فى القاهرة والاخرى فى كلماتنا الموجزة فى «الحياة والعمل»

وشيانج كاى شيك هو رئيس الوزارة الصينية ووزير الحربية . وكان قد أسره قائد احدا الجيوش الصينية فى سيانفو بتهمة تسامحه مع اليابان و كراهته لعقد محالفة مع روسيا الشيوعية ضدها واعلان الحرب عليها . والحقيقة ان جميع الصينيين يطلبون الحرب على اليابان للاعتداءات المتكررة من هذه الدولة عليها . ولـكن شيانج كاى شيك يعلل أمته بالصبر حتى يكون لديها من المدافع وسائر الذخائر ما يـكفى للمصادمة القادمة . وقد أصبح لهذا القائد من السلطان على بلاده وتعلقها به مثلما كان لسون يات سون مؤسس الجمهورية . وبعد أن بقى مأسورا نحو أسبوع فى سيانفو أفرج عنه وعاد الى نانـكين . وعاد خلفه القائد الذى أسره وهو يعتذر ويقدم نفسه للمحا كمة

نحو الاستقـلال

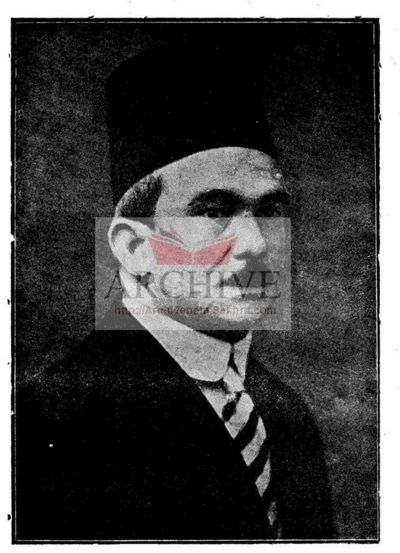
تمت الاجراءات الاخيرة لتوقيع المعاهدة بين مصر وبريطانيا . وسيعـين حافظ عفيفى باشا سفيراً لمصر فى لندن . وسيعين على الشمسى باشا مندوبا لمصر فى عصبة الامم

وستصبح دار المندوب السامى سفارة بريطانية يحرسها جنود مصريون

وتدرس مشروعات القوانين للعمال . ونرجو أن يـكون فى مقدمتها قانون النقابات كما نرجو الا تهمل الوزارة الوفدية فى التغلب على المعارضة القائمة ضده

وقد شرع فى درس استغلال الميـاه الساقطة فى اسوان وعن قريب نستطيع أن نستغل القوة

السكهربائية هناك لايجاد حركة صناعية



صاحب السعادة على الشمسى بـ


اللورد نوفيلد

رجل اوربى

يرى القارىء هنا صورة لرجل من رجال اوربا هؤلاء الغربيين الذين يعرفون الخدمة ويكرهون الابهة. هذا الرجل هو اللورد نوفيلد صاحب الاتومبيل المعروف باسم موريس . وقد جمع ثروة كبيرة من مصانعه التى تصنع هذا الاتومبيل ولكنه يعيش فى بساطة بل تقشف ويلتذ ركوب البسكليت . وقد وهب أمته الى الآن سبعة ملايين ونصف مليون جنيه أى مايقرب من ربع الميزانية للدولة المصرية . وهبها لانشاء المستشفيات ومساعدة الجامعات ونحو ذلك

وهذا هو الانسان الجديد . أما الانسان القديم فهو الذي يمثله راجوات الهند الذين يقتنون الجواهر من الألماس واللؤلؤ ويركبون الفيلة ويعيشون فى قصور كل قصر يصح أن يكون فندقا يؤوى الف سائح وأكثر . هذا الرجل الأوربى هو الذى نحب أن نرى مثالا له بين أغنيائنا فى مصر والشرق العربى كله

الاشتراك فى هذه المجلة

نرجو من قرائنا أن يفهموا أن هذه المجلة لاتنال أية مساعدة من تلك المساعدات المختلفة التى تنالها المجلات من الحكومة . فان وزارة المعارف تشترك فى ٢٩ مجلة ولاتشترك فيها . والحكومة تساعد المجلات الأخرى باعلانات المصالح أو بالاعلانات القضائية ونحن محرومون من هذه الاعلانات جميعها

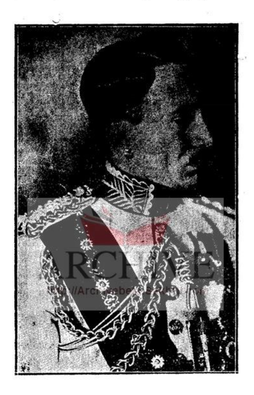
فازاء ذلك نطمع فى قرائنا والعاطفين على مجهودنا والراغبين فى أن تبقى الدعوة الى الاصلاح والحرية حية أن يجتهدوا فى زيادة المشتركين

ونحن نجعل الاشتراك فى هذه المجلة لمصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشا وسنتين ٦٥ قرشا و٣ سنوات ٩٠ قرشا . أما خارج القطر فالاشتراك (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلنا للسنة و ٢٠ شلنا للسنتين و ٣٠ شلنا لثلاث سنوات

ويجب اضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر

لبس القبعة فى العراق



صاحب الجلالة الملك غازى الذي يسعى لتوجيه العراق نحو الحضارة الاوربية الحديثة

بغداد فى ٢٣ ديسمبر ـ ظهر في أيام عيد الفطر المبارك جماعة من الشبان والموظفين وعلى رؤوسهم القبعات واخذوا يدعون الى الاستعاضة عن السدائر بالقبعات يؤيدهم في دعوتهم هذه بعض المسؤولين فى الحكومة وحجة اصحاب هذه الدعوة ان لبس القبعة هو من مظاهر المدنية الحاضرة التى يجب ان يقتبسها العراق. وان القبعة اكثر ملائمة للشروط الصحية من السدارة

ألمانيا تكافح الشتاء



صورة رمزية تنشرها وزارة الدعاية فى ألمانيا هذا العام
وهي تعنى أن ألمانيا تكافح الفقر والجوع فى الشتاء
وتدعو الالمان الى التبرع لمساعدة الفقراء

ألمانيا تجمع المواد الخامة



يقضى برنامج السنوات الاربع أن تبحث ألمانيا عن المواد الخامة داخل بلادها وأن تستغنى بقدر امكانها عن الواردات الأجنبية . وهنا يرى بعض الصبيان من فرق الشباب المتلربين وهم يجوبون الغابات لجمع مايتساقط من ثمار الاشجار لاستخراج الزيوت منها

الملوك والديموقراطية

فى القرن العشرين

للدكتور أمير بقطر

غريب جدا أن نتحدث عن الملوك والديموقراطية ، ونحن نعلم ان الملوك أشد أعداء الديموقراطية كما لايغيب عن الاذهان ، سياسية واجتماعية . فالاولى هي التى تتناول نوع الحكم ، الذى يكون فى كثير من الاحوال جهوريا ، أو مماثلا للجمهورى ، أو الذى يكون عماده على الاقل برلمان ، يمثل أعضاؤه الامة خير تمثيل . والثانية هي التى تتناول جميع مظاهر الحياة اليومية . وسيكون بحثنا فى هذه العجالة مقصوراً على الثانية

كان الملوك إلى عهد قريب ، ولا يزال بعضهم ، يترفعون عن عامة الشعب ، ويجعلون بينهم وبين الرعية ، حتى الطبقة الارستقراطية منهم ، حائلا كثيفاً ، فلا يتنازلون للتقرب منهم إلا بكل حذر واحتراس وتردد وأنفة ، وذلك فى حالات استثنائية نادرة ، تستلزمها الرسميات الجامدة . وكان الملوك فى الشرق خاصة يعتبرون أبناء الرعية بمثابة الخدم ، حتى الوزراء وكبار الموظفين منهم ، وكان الوزراء يتلقون الاوامر فى كثير من الاحوال على أيدي خدام الملوك وعبيدهم ، ولم يكونوا ومن هم دون الوزراء من طبقات الشعب فى نظر الاسر المالكة سوى نعام وأبقار وأغنام، يرمقون بعيون المهانة والاحتقار

بيد ان الملوك والأمراء كانوا لا يرتاحون بطبيعتهم إلى هذه التقاليد فى جميع الاحايين ، ولكنهم كانوا يخضعون لسلطانها أحيانا ، رغم ارادتهم ، جريا على العرف واتباعا للعادة ، ونزولا على رغبات الرعية ذاتها . فقد كان كبار أفراد الرعية والمسئولين منهم يقاومون ملوكهم ويوجهون اللوم الى أمرائهم ، اذا خالفوا هذه التقاليد ، ونزلوا الى مستوى الرعية ، ولو ساعة واحدة ، وكثيرا ما كان يتوق أولئك الامراء أن يتذوقوا طعم الحرية والديموقراطية كسائر البشر ، فيسيرون فى شوارع المدن لمشاهدة المخازن الكبرى وواجهاتها ، ويتناولون الطعام فى احدى فنادقها ، ويشربون كأساً من الخمر فى احدى حاناتها ، ويلعبون الورق فى احدى أنديتها ،

و الكرة فى احدى ملاعبها ، وينازلون فتاة فى احدى طرقاتها ، بغير رقابة ، أو تحية ، أو معية ، أو جنود ، أو رسميات ، جافة ميكانيكية — كانت تتوق نفوسهم الى ذلك ، ولكن بغير جدوى ، خشية من الديموقراطية ، وصيانة لهيبتهم ، ومكانتهم ، من أن تمتهن

هذه كانت حالة الملوك والامراء الى عهد قريب . بيد ان الحرب العالمية الكبرى قضت على الكثير من هذه التقاليد ، وأحدثت ثورات اجتماعية هائلة ، قذفت براكينها من فوهاتها الثائرة المتقدة ، كمية وافرة من حمم الماضى ، واكتسحت أمامها عدداً ليس بقليل من أعز مالدينا من عادة وعرف ، وما لم تبق على أحد فى هذا السبيل حتى الملوك والامراء

ولعل انجلترا كانت فى مقدمة البلدان التى اعتنق أمراؤها وأعضاء أسرتها المالكة مبادىء الديموقراطية الاجتماعية ، فنزلوا الى الميدان أفراداً وجماعات ، يبتاعون الملابس والقبعات بأيديهم وينتقون هدايا عيد الميلاد من الحوانيت كسائر الناس ، ويزورون المستشفيات والمؤسسات ، ويركبون الخيل ويلعبون التنس مع أفراد الرعية ، ويخلعون ملابسهم للسباحة والعوم فى حمامات البحر العامة ، ويتناولون الاكل فى المطاعم والفنادق ، ويزورون البلدان الاجنبية كأفراد الناس ، وينزلون الى قاعات الرقص بملابسهم المعتادة

وقد لاحظ السياح الذين زاروا انجلترا هذا العام ، وبينهم عدد يذكر من المصريين ، ان أفراد الاسرة الانجليزية المالكة كادوا يكونون فى كل مكان — فى الملاهى ، والمنتزهات ، وشواطىء البحار ، والفنادق ، والارياف ، وسائر الاماكن العامة . وأذكر أن البرنس أوف ويلز « قبل أن يكون الملك ادوارد الثامن » قبل تولية الملك ببضعة شهور كان يزور أحياء الفقراء فى الناحية الشرقية من لندن ، فصاح أحد العمال « هذا هو أحد الاغنياء الكسالى » مشيرا الى ولى العهد ، فأجاب الثانى مبتسما « قد أكون غنياً حقيقة يا صديقى ، ولكنى أؤكد لك انى لست كسولا » ولم يصب الرجل أذى أو لوم أو تأنيب

وقد زار البرنس أوف ويلز أيضا القاهرة بصفة غير رسمية منذ سنوات قليلة وحضر حفلة رقص متواضعة فى نادى الجزيرة للالعاب الرياضية ، وقضى شطراً من تلك الليلة الساهرة يرقص مع ممرضة فقيرة ساذجة ، وكانت أولى من طلب يدها للرقص . وتصادف مرة أن كان كاتب هذه السطور فى بياريتز « المصيف المعروف فى فرنسا » عند قدوم هذا الامير فى مساء ذلك اليوم الى قاعة السهرة بسترة زرقاء وسروال أبيض ، حتى لا يحمل المصيفين مشقة البذلة الرسمية

وحسبي أن أذكر الذين زاروا مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا في عهد مليكها الراحل، أن يرجعوا بذاكرتهم الى شوارعها وحدائق النزهة فيها ، ليذكروا كيف كان ذاك الملك العظيم يخترقها عدة مرات كل يوم فوق دراجته المتواضعة ، وكان لا يعيره الناس اهتماما كبيراً ، كأنه أحد أفراد الناس

وهذا ملك أسوج كان يقضي شهور الراحة في الريفيرا يلعب التنس مع من يتقن هذه اللعبة من أفراد الشعب ، بغض النظر من مقامهم الاجتماعي

هذه هي معجزة الحرب العظمى ، التي قبل أن تضع أوزارها ، دكت عروش ، وثلت تيجان ، وقامت حكومات على انقاض حكومات ، فتسربت الآراء الديموقراطية من عامة الشعب وطبقات الرعية الى قصور الملوك ، وذوي الجلالة والسلطان

وهذه الاميرة جوليانا ، كريمة الملكة ولهلمينا وولية عهد هولندا ، في مقدمة أعضاء الاسر المالكة التى اعتنقت المبادىء الديموقراطية ، وهامت حباً بها منذ نعومة أظفارها ، حتى أصبح مثلها فى التواضع والبساطة والنزول الى مستوى شعبها ، تلهج بذكره الركبان . ولعل أكبر مظهر من مظاهر الديموقراطية فى حياتها ، كانت تلك الفترة الجامعية التي قضتها فى جامعة «ليدن» تتلقى العلم جنبا الى جنب ذلك العدد الغفير من الشبان والفتيات من بنات الطبقة المتوسطة من الشعب الهولندي وأبنائها . هناك عكفت على طلب العلم ، وجوزا الامتحانات الشديدة الوطأة ، فى العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية ، حتى حازت الدكتوراه فى القانون . وفى خلال تلك السنوات التى قضتها بين الكتب والاوراق كان الناظر اليها لا يفرق بينها وبين أية طالبة جامعية أخرى ، فى سيرها ، وهندامها ، وحركاتها ، ولعلها كانت تتميز عن سائر زميلاتها ، بقضاء شطر يذكر من أوقات راحتها فى أشغال الابرة وحياكة الثياب . والغريب انها فى خلال زمن التلمذة اختارت مسكنها فى قرية صغيرة على مقربة من الجامعة ، يقطنها طبقة فقيرة من الناس ، صناعتهم صيد الاسماك

وفضلا عن فوقانها فى العلوم القانونيه خصوصا القانون الدولى ، فانها طاهيه ماهرة ، وتحسن الرقص الى درجه مدهشه ، وتلعب التنس رغم انها لا تحسنه ، وتدخن ، ولكن الملكة والدتها لا تسمح لها بذلك داخل السراى الملكيه

ولا يتسرب الى ذهن القارىء ان الاسرة المالكة الهولنديه ليست ذات مال وفير . انها على النقيض من ذلك من اغنى الاسر المالكة فى العالم ، فلو شاءت عاشت عيشه ارستقراطيه لا تدانيها فيها أسرة ملكيه سواها

والأميرة جوليانا تبلغ من العمر ٢٧ عاما وقد طلب يدها أمير ألمانى عمره ٢٥ عاما فقبلتها . ومتى تربعت على أريكة الملك قدم لها ٥٧ مليونا من الانفس يمين الطاعة ، منهم سبعة ملايين فى هولندا



الدوق وندسو وهو ادوارد الثامن ملك بريطانيا السابق

ذاتها والباقون فى المستعمرات . وسيكون عرشها من أشد العروش رسوخا وثباتا لانه لا يعقل أن تقوم ثورات أو قلاقل فى بلد كهولاندا ، يستطيع شعبها أن يروا بعيونهم ملكتهم جالسة فى النافذة تخيط ثيابها بيدها

وقد كان لكاتب هذه السطور حظ زيارة قصر الملكة ولهلمينا فى مدينة الهاى منذ سنوات وقد وصفته بتفصيل فى مقالة نشرتها فى جريدة كوكب الشرق ، وكان مما شاهدت فيه الملعب « جمنازيوم » الذي كانت تقضى فيه الاميرة شطرا كبيرا من وقتها فى التدرب على الالعاب والرياضة

وقد بلغت الديمقراطية فى ذلك القصر أنى زرته بغير أن يضرب لى موعد ، وكنت ألبس حينئذ بذلة رمادية ذات بنطلون قصير ، فقادنى أحد رجال التشريفات الى جميع زوايا القصر وخباياه بما فى ذلك قاعة الرقص الكبرى وقاعات الاستقبال وغرف المائدة ، والكراسى المخصصة للملكة فى جميع هذه الغرف . وأشار التشريفاتى الى الهدايا الثمينة التى قدمها ملوك العالم الى الملكة ولهلمينا يوم زفافها وبينها تحفة عظيمة القيمة من اسماعيل باشا خديوى مصر

* * *

ولا يحتاج القراء الى التنويه بذلك النوع من الديموقراطية الذى يتجلى فى مليكنا الشاب فاروق الاول ، فحسب جلالته أن انتظم فى سلك الكشافة منذ عهد قريب ، وحسبنا ما توالى الصحف نشره عن ميله لشعبه وحبه لمبادىء الديموقراطيه التى يمتاز بها هذا العصر

وقد حظى كاتب هذه السطور مرة بمقابلة جلالة والده الراحل الملك فؤاد الاول لتقديم مؤلف فلقى من جلالته فى زهاء عشرين دقيقة كاملة رعاية كادت تنسيه أنه فى حضرة مليك البلاد

أمير بقطر

حاجتنا الى رأى عام مستنير

لسلامه موسى

فى هذا العهد الجديد عهد الاستقلال نرانا محتاجين الى رأي عام مستنير أكثر من قبل . فاننا قبل الآن لم تكن أمورنا فى أيدينا فلم يكن للرأى العام قيمة أو أثر فى توجيه الحكومة . لأن الحكومة كانت تسترشد بنواح أخري غير الشعب . بل كانت فى بعض الوزارات تعمل ليس على غير ارادة الرأي العام فقط بل ضدها

أما الآن وفى المستقبل فان الحكومة مضطرة الى الخضوع للرأى العام ومضطرة الى أن تذعن لسيطرته واكتساب ثقة الشعب . بل هى لا يمكنها أن تزكى وجودها الا بان الرأي العام يرضى عنها . ولم تكن هذه حال حكوماتنا فى الخمسين من السنين الماضية . بل كانت الحكومة تعنى أكبر العناية ببعض النواحى وتهمل الرأي العام اهمالا تاما

وحاجتنا لهذا السبب كبيرة لأن يكون الرأى العام مستنيرا يدرك النزعات العصرية ويتشبع بها ويتحمس لها . كما يدرك النزعات الرجعية ويخشاها ويعمل للوقاية منها . فان فى عصرنا هذا نزعات تعمل للرقى العام بحيث أن الأمة الشرقية المنحطة عند ما تتخذها تنقلب كما لو كان هذا الانقلاب بقوة سحرية من الضعف الى القوة ومن الانحطاط الى الرقى ومن الحقارة الى الكرامة .

وهذه النزعات العصرية كثيرة متعددة لو شئنا ان نذكر أهمها وأعمها لقلنا انها من حيث الثقافة النظر العلمى بدلا من النظر الصوفى . ومن حيث الحضارة النزوع الى الصناعة بدلا من الركون الى الزراعة

* * *

ولكى نجعل الرأى العام مستنيرا يجب أن نشيع بين الشعب العدة الذهنية التى تخدم النور والحضارة والرقى أى تخدم النزعات العصرية . ولا يمكننا أن ننشد هذه العدة الذهنية من الشرق ولا من الكتب العربية القديمة . فان الشرق بجميع اقطاره ومع اختلاف سرعته يحاول أن يتغرب وأما الثقافة العربية القديمة فقد انقطعت الصلة الذهنية بيننا وبينها أو كادت . واحياء هذه الثقافة الآن لا يمكن أن تكون له من الفوائد غير الفائدة التاريخية ، وحسبنا أن نذكر ماكان يفهمه ابن

سينا من لفظه « نفس » وما يفهمه الشاب المصرى المثقف الذي قرأ فرويد من هذه اللفظة . فان الفرق هنا فرق مابين العقيدة الموروثة والرأي المستنبط

وحسبنا أن نذكر ان الخصاء او التعقيم قد استعمل فى الشرق وهو يستعمل الآن فى الغرب . ولكن لغايتين مختلفتين اختلاف الشرق من الغرب او اختلاف النزعات القديمة من النزعات الحديثة . فقد استعمل فى الشرق لهيئة اجتماعية منحطة لخدمة القصور . وهو يستعمل الآن فى الغرب لخدمة السلالة البشرية ويلحظ فيه التطور ونظرية دارون

ولا يمكن لهذا السبب ان ننير الرأى العام بالدعوة الى عادات الشرق او الى الثقافة العربية القديمة . ولا يمكن ان نهيىء للأمة عدة ذهنية مستنبطة من الشرق او من الثقافة العربية القديمة

« * »

فى أوربا الآن صراع واضح بين فريقين لكل منهما علم كأنهما الجيشان المتقاتلان . احدهما فريق الاشتراكيين والآخر فريق الانفراديين . اولئك يطلبون رقابة الدولة لجميع الاعمال الحرة . وهؤلاء يطلبون استبقاء حريتهم بعيدة عن هذه الرقابة . وهذا الصراع قد يكون مضمرا هادئا مطمئنا كما هى الحال فى بريطانيا او الولايات المتحدة او الأمم الاسكندناوية . وقد يكون صريحا تطاح فيه الرءوس بحماسة كما هى الحال الآن فى اسبانيا . فاذا كان لنا رأى عام مستنير فيجب أن ندرى العوامل المختلفة لهذا الصراع وان نعتبر بما ترتكب فيه من اغلاط . فان مسرح اوربا السياسى تمثل عليه درامات مختلفة بعضها يصل الى حد المأساة . فاذا كنا مستنيرين فهمنا العبرة وتوقينا الوقوع فيما يرتكب من اغلاط . واستطعنا أن نسير بأمتنا فى مثل الطريق المطمئن الذى يسير فيه الانجليز او الاسكندناويون او الامريكيون . واذا لم نفهم العبرة وبقى الرأى العام جاهلا للتطورات الحديثة بشأن العمل والعمال فاننا سوف ننحدر الى هوة مظلمة ننساق اليها ولا نخرج منها الا بعد تضحيات كبيرة . ويجب لهذا ان ننير الرأى العام عن الآراء السياسية والاجتماعية الحديثة

فهل جمهورنا الذي يتابع اخبار هذا الصراع فى اوربا يدرك اسبابه وتطوراته وعواقبه ؟ وهل صحفنا او مدارسنا او انديتنا الثقافية او هل المؤلفون ينيرون الجمهور عن هذا النضال ؟

« * »

وقد ذكرت هذا الصراع كمثال بارز للتيارات الأوربية التى تتنازع السياسة والاجتماع . ولكن أوربا تتنازعها تيارات أخرى . فانها وان كانت بعيدة مثلا فى مجموعها عن الروح العلمى فهى سائرة فى طريقة ولا بد منتهية إلى نهايته . ومن الخطر الكبير أن نجهل أن نتجاهل هذه الحقيقة . فاذا

كان الرأى العام ليس على يقظة تامة لخطورة النزعة العلمية المادية فى أوربا فانه يجب علينا أن ننيره عن نتائجها . وعندي انه لو كان رأينا العام مستنيرا لكان لنا الآن بدلا من المجمع اللغوى مجمع لدرس الكيمياء الصناعية — هذه الكيمياء التى جعلت ألمانيا تزرع الجو وجعلت ايطاليا تتخذ ملابسها من الخشب

وأوربا وان كانت بعيدة عن الأخلاق البيولوجية فانها سائرة فى سبيلها ولا بد منتهية إلى غايتها فان قيمة الاخلاق والقوانين والعادات تتغير وينظر فيها إلى مصلحة السلالة واستخراج مادة انسانية أرق وأصح من المواد الحاضرة . فاذا نحن أهملنا هذا النظر ولم ننر الرأى العام عن قيمته فان خطر هذه الأعمال يعود علينا عاجلا قاسيا

* * *

والآن يجب أن نسأل ما هى الشروط أو ما هو الشرط الأساسى لتنوير الرأى العام ؟

الشرط الأساسى هو الحرية المطلقة للتفكير . وهذه الحرية قد فقدناها وما زلنا نفقدها . فنحن لا نستطيع أن نفكر فى الدين أو فى السياسة أو فى الاجتماع تفكيراً حرا . ويكفى أن نرجع إلى تاريخنا فى السنوات العشر الماضية لكى نعرف أننا غير أحرار . فان دعاة الاستبداد فى السياسة رأوا أن خير ما يؤيدهم فى هذا الاستبداد هو الدعوة إلى الرجعية وتقييد الحرية الفكرية فصرنا نرى مثلا ان الدكتور طه حسين يؤتى به إلى النيابة العمومية فيعترف وهو صاغر بأنه يؤمن بالملائكة واليوم الآخر . ورأينا الدكتور نخرى يقدم لمحكمة الجنايات لأنه قال بوجوب المساواة فى الميراث بين المرأة والرجل . ورأينا كتابا يؤلفه أحد الاسكندريين عن الحديث النبوى فيمنع ويصادر . ورأينا الدكتور زكى أبو شادى على وشك أن يفقد وسيلة عيشه لأنه أكبر من شأن فرويد السيكلوجى النمسوى . ورأينا كتاب الابطال الذى ترجمه السباعى قبل ٢٥ سنة يطلب منعه عن الجمهور

وليس هذا الجو مما يشجع المفكرين على التفكير الحر . بل الى هذه المناوأة للمفكرين رأينا شيخا يكتب المقالات سنة ١٩٣٠ بعنوان « الملك فؤاد ظل الله على الأرض » فينال الترقيات المتوالية العاجلة . ورأينا وزراء فى وزارة المعارف يطاردون المجلات التى لا تزال بها بقية ضئيلة من التفكير الحر . ورأينا وزراء آخرين يتحدثون عن تقاليدنا الشرقية

والواقع ان المناوأة للحرية السياسية فى السنوات الخمس عشرة الماضية قد استحالت إلى مناوأة للتفكير الحر كله للشعور الخفى بأن حرية الفكر ولو فى الأدب هى نفسها أداة لحرية الفكر فى السياسة . ولذلك انحرف الرأي العام عن طريق الحرية بالدعاية المتواصلة ضد المجددين والاحرار

وقد استطعنا ان نحطم السلاسل التى وضعها المستبدون على أبواب البرلمان . ولكننا الى الآن لم نحطم السلاسل التى وضعوها على العقول الحرة . وهذه الدعوة التى دعا سا المستبدون لتقييد الحرية الفكرية لا تزال حية وهى تتخذ راية الدفاع عن الوقار والتقاليد فتحد من الجمهور الساذج قبولا وعطفا . فاذا كنا نطلب تنوير الرأى العام فيجب أن نوضح له وللحكومة هذه الحقيقة وهى أننا لم نتقدم فى الرق الحديث إلا بمقدار تركنا لتقاليدنا . ولم تتقدم اليابان أو تركيا أو ايران الا بمقدار تركهن لتقاليدهن الشرقية

هذا هو مايجب أن ننير الرأى العام عنه . يجب ألا نكف أن نبين له قيمة الحرية الفكرية فى الأدب والاجتماع والدين والاقتصاد وان هذه الحرية هى الضمان الحقيقى للحرية السياسية . فاذا شاء الجمهور ألا يجد السلاسل على أبواب البرلمان فليرفعها من الآن عن عقول المفكرين . فان هؤلاء المفكرين يقدمون له العدة الذهنية التى تجعل وثبة الواثب من المستبدين مستحيلة وتجعل الحنث بيمين الدستور خطرة

* * *

ما هى وسائل تنوير الرأى العام ؟

هى الصحف والكتب والمدارس والجمعيات الثقافية بل هى أيضا الراديو والسينما.وهذه الوسائل تتفاوت فى مدى تأثيرها ، وليس هذا التأثير قائما على سعة الانتشار فقط . فان هناك عوامل أخرى مثل مكانة الطبقة المتأثرة فى الأمة ونفوذها فى توجيه الخطط أو الاذواق

وليس شك فى أن الراديو من هذه الناحية كبير القيمة فى التهذيب والتربية اذا أريد هذا منه . وكذلك السينما فانه يشيع بيننا أذواقا والوانا من الذوق والسلوك لا مفر لنا من التأثر بها . ولكننا لا نستطيع ان نقول ان السينما والراديو قد أخذ احدهما مكان المدرسة او الصحيفة او الكتاب او الجمعية الثقافية فى التنوير وتكوين الرأى العام

* * *

ولنأخذ الجمعية الثقافية أولا . فانها تبدو لنا صغيرة الأثر قليلة الخطر لأننا لم نألفها فى بلادنا أو لأن الفتنا لها كانت متقطعة محدودة بل احيانا مهددة بالاستبداد

ولكن الجمعية بطبيعة تكونها من هواة ومحترفين تنبنى على الحماسة فى الدعاية والخدمة . كما يرضى اعضاؤها بالتضحية . فمن الجهة الواحدة نجد أن اعضاءها يتزعمون حركة فكرية خاصة ولهم بهذا التزعم مكانة التأثير فى الأمة . فاذا رأينا مثلا انه قد الفت فى انجلترا او فرنسا او المانيا جمعية تدعو الى « الفكر الحر » فان الذين ينضمون اليها ليسوا من العامة بل من الخاصة المثقفة

التى يدرى كل فرد منها قيمة هذه الحرية وتاريخ النضال الذى اقتضته قبل ان اعترف بها . ومن هنا قيمة تأثيرها فى الرأي العام بالتنوير والتهذيب . فان كل فرد من اعضائها يرضى بالتضحية مع القدرة الثقافية التى تجعل هذه التضحية مجدية ، وهو بمثابة العضو فى حزب سياسى تبعث فيه العضوية وحدها غيرة وتضحية

فهل لنا مثل هذه الجمعيات الثقافية ؟

لنا القليل منها للأسف ، وهى فى الاغلب تعتمد فى المبنى والمعنى على الاساليب الشرقية حتى انها لتفخر بأن رياستها قد سلمت لاحد الباشوات او الوزراء السابقين او نحو هؤلاء ، وعندئذ تذهب منها الغيرة والتضحية ويحل محلهما الخوف من المصادمة لأن الباشا أو الوزير السابق له علاقات تطالبه بالوقار . بل هذا الوقار احيانا قد يدعوهم الى طرد العضو النشيط لأنه مقلق من بعض نواحيه الاجتماعية او السياسية

وانا اذكر هنا « جمعية العقليين » فى انجلترا . وكيف انها طبعت مليونى نسخة من الكتب العلمية الاساسية التى يراد بها تنوير الرأى العام وهى تبيع النسخة من معظم هذه الكتب بنصف شلن . وازاء هذه الجمعية وضدها « جمعية نشر المعارف المسيحية » فان الاولى تدعو الى الايمان بالعلم وحده وهى حرب على الأديان . والثانية تدعو الى المسيحية وضرورة الدين . والجمهور البريطانى يستنير بقراءة كتب الجمعيتين . وكان يكون أقل استنارة ــ وبالتالى أقل كفاءة فى التمييز ــ لو أنه قرأ كتب احدى الجمعيتين فقط

ونحن فى مصر فى حاجة الى جمعيات ثقافية لها غاية دعائية يقوم بعضويتها افراد غيورون على المذهب الذى يؤمنون به . فان لهذه الجمعيات أكبر الأثر فى تنوير الرأى العام هذا الرأى العام الذى يستطيع ان يردينا فى هوة الجهالة والظلام والاستبداد أو يرفعنا الى مقام الامم العظيمة التى تخدم السمو والشرف والسعادة الانسانية

نريد جمعيات لدرس السياسة ودرس العلوم ودرس الدين تحتوى اعضاء ممتازين بالكفاءة والتضحية معا . يكون كل منهم بمثابة الديدبان اليقظ لحراسة الثقافة والاراء الاصلاحية الحرة من طغيان الجمود ووثبات الرجعية . ولا نريد عشر جمعيات ولا مائة جمعية فقط بل نريد الألاف من هذه الجمعيات التى تنتشر فى قرانا كما تؤلف فى مدننا لهذه الغاية ، جمعيات ديمقراطية فى تأليفها خالية من أبهة الشرق بعيدة عن الرياسات الباشوية والوزاريه ، جمعيات لاتبالى الوقار فى سبيل الخدمة العامة

« * »

وليس منا من ينتقص قيمة التعليم فى تكوين الرأي العام . فهل التعليم الحاضر مما يساعد على تكوين رأى عام مستنير ؟

ان أهم مراحل التعليم للناحية الاجتماعية فى الامة هى المرحلة التى يستوى فيها أبناء الامة جميعهم فالامة كلها لاتذهب الى كلية الحقوق اوكلية الهندسة . ولكنها تذهب كلها الى المدرسة الالزامية او الابتدائية . او هذا على الأقل هو المفروض المأمول . فهاتان المدرستان هما القاسم المشترك الاعظم بيننا جميعا لأن ابناء المدن والقرى والفقراء والاغنياء يستوون فيه

ولكن من الواضح ان المدرسة الالزامية قد خصصت لابناء الفقراء . والمدرسة الابتدائية قد خصصت لأبناء الاغنياء . مع أن الاثنين يستويان فى تكوين الرأي العام . وفى يوم الانتخاب لن نقول لأحد الفريقين انه يمتاز بصحة الحكم عن الفريق الآخر . بل نحن نقبل أو سوف نقبل حكمهما على السواء مع أن كلا منهما يختلف من حيث الاستنارة العامة من الآخر . أو بكلمة أخرى نقول ان أحدهما ينشأ شرقى المزاج والثقافة والميول والمعارف . والآخر ينشأ غربيا فى كل هذه الاشياء

فنحن عندما قسمنا التعليم فى المرحلة الأولى الى قسمين واحدا لابناء الاغنياء وآخر لابناء الفقراء قد قسمنا الأمة أمتين . ويجب ان ننتظر كل الشرور التى سوف تنشأ من هذه القسمة

ولنعد الى الكلمة التى سبق أن ذكرناها وهى « ان الملك فؤاد ظل الله على الأرض » ماذا يقول فيها خريج المدرسة الالزامية هذا الشرقى الذى حرصنا على أن ينشأ شرقيا من جميع الوجوه وماذا يقول فيها خريج المدرسة الابتدائية الذى عاشر معلمين يدرون النزعات الحديثة ولعلهم قد حادثوهم عن البرلمان والديمقراطية

ان كلا منهم يقول شيئا مخالفا لما يقوله الآخر . وهنا الخطر فان حاجتنا الى رأي عام مستنير تعنى الا يكون فى انحاء القطر غير مدرسة واحدة تجمعنا كلنا نستوى فى هذه المبادىء الأولى مبادىء النظام والدستور وحرية الفكر

لا بل نزيد على ذلك ونسأل هل التعليم الثانوي مما يؤدى الى الاستنارة العامة فى الرأى العام ؟ لا بل نزيد أيضا ونسأل هل وزارة المعارف تشعر بخطورة التبعة الملقاة عليها فى تنوير الرأي العام واخراج شبان صالحين لصيانة الدستور وللدعوة الى الاصلاح الاجتماعى والبعد عن ابهة الشرق واليقظة نحو وثبات الاستبداد ؟ نعنى الاستبداد فى الحكومة والاستبداد فى الاجتماع والاستبداد فى الاسرة ؟

« * »

لقد قلنا ان وسائل التنوير للرأى العام عديدة . وفى مقدمتها الصحف والكتب . والصحيفة التى تطالعنا كل يوم او كل أسبوع باراء عن الشئون العامة الحاضرة لابد أن تؤثر فينا وتوجه ميولنا وأذواقنا ان خيراً وأن شرا . وليست الصحيفة كبيرة الاثر بمدى انتشارها . فان الديلى اكسبرس تطبع فى اليوم أكثر من مليونى نسخة ومع ذلك ليس لها الاثر الذى يحدثه فى الرأى مقال من مجلة سبكتاتور الاسبوعية وهى لاتطبع أكثر من عشرين الف نسخة او من مقال من جريدة التيمس وهى لاتطبع أكثر من مائتى الف نسخة . وانما ذلك لأن طبقة القراء التى تقرأ الديلى اكسبرس لاتطلب من هذه الجريدة غير التسلية . أما قراء التيمس او الاسبكتاتور فانهم يستمدون اراءهم السياسية منهما

والصحافة فى العالم كله هى اداة سيئة لتنوير الرأى العام . وهى تستحيل يوما بعد يوم حتى فى مصر الى ان تكون صحافة ارجافية تعيش وتنمو على الاستثارة للعواطف . وليس للخبر الصادق قيمة اذا لم يستفز ويبعث هذه الاستثارة ، ولذلك يمتاز عليه الخبر الأرجافى الكاذب . والرأى العام مضلل بهذه الصحافة التى لاتنشد تربيته او تنويره

وكلنا يعرف ماذا قام به المسيو بلوم فى فرنسا وكيف انه يريد اصدار قانون يحتم به على الصحف ان تعلن مواردها المالية ، وذلك لأن رشوة الصحف من بعض الجهات قد اصبحت مألوفة ، بل اصبحت كبيرة الخطر لان مصانع الاسلحة والذخائر كانت ترشوها لاثارة القلق والمخاوف حتى تضطر الحكومات الى شراء مصنوعاتها وتستعد للحروب فى غير حاجة معقولة الى الخوف منها

والصحف معذورة فى نشدانها الكسب بالخبر الارجافى ، وهى فى مزاحمة حرة تفوز فيها الصحيفة التى تكسب اكثر من غيرها . وأسوأ مافى الصحافة أن الجريده التى تنشد الكسب تضطر الى الارجاف فى السياسة او فى العلاقات الجنسية وأخبار الطلاق والزنا . فتعود أسوأ مرشد للرأى العام . والجريدة التى ترفض هذه الوسائل للكسب تضعف فلا يقرأها أحد . ثم هى فى الوقت نفسه لهذا الضعف تعود عرضة لأن تغريها أية ناحية من النواحى القوية لكى تسير فى خطة معينة ولو كان فيها الضرر الأكبر للرأى العام

وهذه الرغبة فى الكسب ليس لها علاج الا بان تعود الصحافة كلها كالقضاء هيئة حكومية (مستقلة كالقضاء من الحكومة) ولكنها فى الوقت نفسه مكفولة الكسب بالطرق المأمونة . وهذا أمل لا يمكن ان يتحقق فى الوقت الحاضر

وقبل هذا الوقت يجب ان نسعى جهدنا لأن نتيح للجريدة او المجلة الحرة الرزينة عيشا الى جنب الجرائد والمجلات الارجافية

* * *

لقد أشرت الى أثر الجمعيات الثقافية التي تخدم الآراء الحرة والاصلاح الاجتماعي ، هذه الجمعيات الفدائية التي تطبع الكتب وتبيعها بأثمان هي دون التكاليف بغية التنوير العام

ومع انى احض على تأليف هذه الجمعيات فانى اخشى الا يتسع لنا الوقت للتنوير عن سبيلها . ومن حقنا ان نعتمد على الحكومة اى وزارة المعارف في هذا التنوير . ولكن مما يؤسف له كثيرا أن هذه الوزارة تنفق ألوف الجنيهات على احياء الثقافة العربية القديمة التي ليس لها غير القيمة التاريخية وتترك أمهات الكتب الاوربية الحديثة وأصول الثقافة الحرة الاصلاحية . فكأن وزارة المعارف لاتدرك أن الحضارة الحديثة هي وليدة ورفيقة الثقافة الحديثة واننا لايمكننا أن نأخذ بهذه الحضارة اذا كانت ثقافتنا ستقتصر على الآداب التي كانت فاشية في بغداد قبل الف عام . ومائة الف من الجنيهات تكفي لترجمة مائة كتاب أوربي مختار يصح أن يكون كل منها أساسا لنهضة ثقافية حية

* * *

وخلاصة القول انى متشائم ومتفائل . فانى أتشاءم لأن موجة الرجعية التي رأيناها في السياسة في السنين الماضية قد انتقلت الى الثقافة . واننا الآن ننفق من وقتنا وأموالنا شيئا كثيرا على احياء الآداب القديمة مع تقييد الحرية الفكرية . وهذا كله لايعمل لايجاد رأي عام مستنير

ثم انى متشائم من ناحية الصحافة الضعيفة والقوية معا ، وكذلك حال التعليم الذى نأخذ به صبياننا . فانه يشق الرأى العام شقين

ولكنى أتفاءل من ناحية بل من نواح أخر . فان الاستقلال الذى حققناه لبلادنا قد اثبت الرجولة في اخلاقنا . وهذه الرجولة لن تتركنا حين نتأمل آفاق المستقبل وحين نوقن ان مصر لن تتقدم وترق بتنوير الرأي العام عن مؤلفات الجاحظ والقلقشندى بل ان هذا الرأى العام سيرق وسيلجئنا الى ترقيته بان نقفه على التيارات الثقافية الحديثة التي جعلت لأوربا التفوق المادى والمعنوى على سائر العالم

الازمة الدينية فى العالم

يلقى الدين شدائد فى جميع أنحاء العالم هذه الايام . بل نستطيع أن نقول انه لم يمر بالناس عصر كعصرنا الحاضر لقى فيه الدين مثل هذه الشدائد : انكارا لحقائقه وسننه ومكافحة صريحة لهدمه ودعوة حماسية الى التخلص منه كأنه مما يعرقل التقدم البشرى ويؤخر من النهوض . وقد عرفنا فى التاريخ حروبا دينية . ولكنها لم تكن من أجل الغاء الدين عامة . بل كانت للاستبدال بالدين أو بالمذهب دينا أو مذهبا آخر . أما هذه الايام فاننا نجد حربا على الدين بلا دعوة الى دين آخر . ومن هنا الخطر العظيم

١ ــ الوطنية والدين

ففى الشرق الاقصى نجد أن النهضة الصينية مقترنة بالدعوة الى ترك ديانة بوذا التى عاشت أكثر من ٢٤٠٠ سنة . وشباب الصين يقصدون إلى معابدهم فيلوثونها ويهدمون أصنامها . وفى الهند قد ثار الهندوكيون على سنن الهندوكية ورفضوا الخضوع لها . وفى روسيا يحارب الشيوعيون الله وشعارهم كلمة ماركس « الدين أفيون الشعب » ولا يمكن أن يقال ان الاتراك هم الآن كما كانوا من ناحية الدين قبل عشرين عاما . وزعماؤهم لايبالون التصريح بالحملة على العرب والاسلام معا . هذا اذا فرضنا أن الشعب التركى لايزال مؤمنا . والوطنية الاشتراكية لاتنظر بعين الرضى إلى الكنيسة الالمانية والتصادم بين رجال الدين ورجال السياسة لاينقطع فى المانيا . وحرق الكنائس وتخريب الديورة فى أسبانيا على ساق وقدم . بل ايران نفسها قدشرعت تفكر فى المجوسية القديمة

والباعث على هذه الحركات هو الاعتقاد بأن الدين يعارض النهضة الوطنية . وقد لانجد رابطة مشتركة واضحة فى هذه المعارضة بين الامم التى ذكرناها . ولكن قليلا من التأمل يبين هذه الرابطة . فان جميع الاديان بطبيعتها قديمة ليس منها مايقل عمره عن الف سنة . وهى بالطبع مرتبطة بالعادات الاجتماعية والامتيازات الاقتصادية الشائعة فى الامة . ولذلك فانه عندما يفكر التركى

أو الصيني أو الروسي أو الاسباني في تغيير هذه العادات فانه يعمد قبل كل شيء الى الدين كأنه الاصل او الركن القوى لهذه العادات والامتيازات . فيطلب هدمه قبل كل شيء . فالهدم يأتي هنا من ناحية التنبه الوطني . وهو هدم للدين القائم فقط وأحيانا مع الردة الى دين وطني سابق وهذا على أوضحه في المانيا حيث تعاد الاعياد الالمانية القديمة . وفي ايران حيث ينظر بعين الاحترام الى المجوسية القديمة

وواضح أن الوطنية هي على الدوام نقيضة الدين . لأنها هي تدعو إلى الحصر وتعيين الحدود للولاء وقصره على الوطن . في حين أن الدين يطلب ولاء يتجاوز الوطن الى العالم . فاذا كان الوطنيون الاشتراكيون في المانيا يدعون الى الدم الالماني والسلالة النوردية والوقاية من اليهود بل اذا كانوا يدعون الى أن تكتفي المانيا نفسها بالحاصلات دون الحاجة الى استيراد البضائع الاجنبية فان من السهل علينا أن نفهم موقفهم من ناحية الكنيسة التي تطالبهم بولاء يتجاوز الحدود الالمانية

ويمكن أن نقول ان أعظم الشدائد التي يلقاها الدين هو هذه الوطنيات المتنبهة في آسيا وأوربا لأنها كلها حركات شعبية يدخل فيها سواد الامة وليست مقصورة على الطبقات المستنيرة الصغيرة كما كان الشأن في الأزمات السابقة . ولكن هذه الطبقات المستنيرة لاتزال تحدث من الازمات الدينية ما يرى أثره في جميع الامم المتمدنة

٢ ـ الدين والعلم

وفي العالم الاوربي ظاهرة قد تعد شاذة بالقياس الى ما ذكرنا هي هذا الاهتمام العظيم بالدين . ويمكن كلا من المؤمنين وغير المؤمنين أن يستنتجوا منها مايحلو لهم . فان المؤمنين يستطيعون أن يعدوا هذا الاهتمام برهانا على التنبه الديني وعلى أن الخاصة قد شعرت تحس بضرورة الدين وتزكى الايمان بهوتتوسل الى ذلك بمختلف الوسائل . كما أن غير المؤمنين يمكنهم أن يعدوا هذا الاهتمام برهانا على القلق لتفشي الالحاد والشك وأن مئات الكتب التي تؤلف كل عام انما هي محاولات اليائس لرد الايمان الى القلوب

ونحن نري أن هذا الرأى الثاني هو الرأى الراجح . فان المؤمن الواثق بايمانه لايحتاج الى أن يحلل نفسه ويشرح عقائده ويزكى موقفه بالبرهان حتي ولوكان البرهان علميا . لأن هذا الموقف

نفسه يدل على القلق والتردد

وأعظم مايلقي الدين من الصدمات هو تلك المكتشفات التاريخية التى ترد العقائد القائمة الى أحلام الانسان البدائى . فان هذا الطريق من البحث قد جهز العلماء بسلسلة متعددة الحلقات يمكنهم أن يعرفوا بهـا الأصول المتعددة لجميع الاديان الفاشية . وربما كانت مصر الفرعونيـة هى المسئولة عن ٩٩ ٪ من حلقات هذه السلسلة . فانها قد بسطت لنا الاصل فى الآلهة والغاية المادية الأولى من الصلاة والمعنى المادى للخلود كما أنها أرشدتنا الى كثير من أصل التوراة حتى هذه القصص الصغيرة التى قد لا يلتفت اليها الباحث مثل قصة البقرات السمان والبقرات العجاف ولماذا هن سبع ؟ وعبارة « ابن الانسان » وقصة الطوفان وما إلى ذلك

وهنتك صدمات أخرى يلقاها الدين من السيكلوجية الحديثة التى تعارض الأخلاق بل الشعائر الدينية بما لا نستطيع وصفه هنا لفظاعته عند القارىء الذى لم يألف مثل هـذه الابحـاث . وأقل ما يمكن أن يوضع هنا هو مايتساءله السيكلوجي حين يقول . هل الصلاة التى يؤديها المصلى عن اهتمام وايمان تزيده حبا للخير فى العالم أو ايثاراً لشخصه على الهيئة الاجتماعية ؟ أوماهي العلاقة بين الشعائر الدينيه والحركات الجبرية فى بعض الامراض العصبية ؟

وبديهى أن هذه الصدمات التى يلقاها الدين من التاريخ والسيكلوجية لا يعرفها غير الخاصة المتعلمة . ولـكن هذه الخاصة هى التى تقرر للامة فى النهاية عقائدها

٣ ـ الدين والبشرية

وضعت لفظة البشرية لـكى تدل على معنى يقابل الالهية . وترجع هذه اللفظة الى عصر النهضة منذ سنة ١٥٠٠ وكان يقصد منها وقتئذ أن يهتم جمهور المثقفين بدرس البشريات الى جانب الدينيات . أى المؤلفات البشرية العلمية والادبية والتاريخية ولو كان مؤلفوها من الوثنيين القدماء أو من غير رجال الدين فى موضوعات غير دينية . وكان يقصد من ذلك ألا يقتصر جمهور الدارسين على الدراسات الدينية . ولـكن منذ نحو ١٠ أو ١٥ سنة شرع الامريكيون يلصقون بهذه اللفظة معنى آخر هو أن هذه « البشرية » هي دين بشرى قوامه الايمان بالتراث الثقافى الذى خلفه البشر من جميع الامم وجميع الازمنة . وتدخل الـكتب الدينيـة فى هذا التراث كأنها من ضمن المجهود البشرى التسامي بالانسان ورفعه فوق مستواه الى آفاق من الاخلاق يقصد منها الخير والعدل والبر

والاخوة البشرية . ويمكن أن يسمى البشريون « ملحدين » من حيث انهم لايؤمنون بما يسمى « ماوراء الطبيعة »

وزعيم هذه الحركة هو والتر ليبمان الذي زار مصر فى العام الماضى . فان كتابه « مقدمة الاخلاق » يعد أنجيل البشريين . فانه يقول ان اعتماد الاخلاق على الاديان قد تزلزل وان المحاولات الحاضرة لرد الايمان الى أسسه القديمة انما هي محاولات خائبة . فاساس الاخلاق للمستقبل هو البشرية أو هو البحث العلمى النزيه . فاذا شئنا أن نربى الناس على الصلاح والبر أو نعاقب المجرم على جرائمه فلن نستطيع أن نلتمس بغيتنا فى الحالتين من الاديان القديمة وانما نلتمسها من البيولوجية واليوجنية والسيكلوجية والجريمولوجية الخ

٤ ـ التسويات

ومع هذا الصراع المتعدد فى معاركه نجد محاولات مختلفة للتسوية . كالتسوية بين العلم والدين يقوم بها عادة بعض علماء الفلك أو البيولوجية أو السيكلوجية . ولكن يجب ألا ننخدع او نتفاءل بلا حق . فانه لايقول بهذه التسويات غير واحد فى المائة من هؤلاء العلماء . ثم ان إيمانهم بجرد الدين من جميع شعائره ومن ٩٩ فى المائة مما يدخل فى « ماوراء الطبيعة »

ودين البهائيه هو واحد من هذه التسويات . وفشوه برهان على تزعزع العقائد القديمة فانه يستخلص عقيدة أو عقائد جديدة من جميع الاديان القديمة . وعلى هذا النحو نجد قسيسا عظيما مثل فوزديك فى الولايات المتحدة يبنى كنيسة ويرسم على جدرانها صوراً للمسيح ومحمد وموسى وبوذا وسائر الانبياء

وخلاصة القول ان فى العالم أزمة دينية متعددة الاصول . وهي كبيرة الخطر لان النزاع ينحو بالعالم الى محو الدين . ولم يعرف قط أن أمة عاشت بلا دين ولذلك نحن فى هذا النزاع نواجه مجهولا ونلتقى بالضمير الانسانى أمام تجربة قاسية قد لا يتحملها

الوصايا العشر الجديدة للعلم

كتاب تأليف البرت ادوارد ويجام الامريكى

وتلخيص الاستاذ نظمى شحاته

ان الشعب الامريكى من أقدر الشعوب وأجرئها على الاقدام بتجربة كل جديد يطرأ على النظريات والآراء فى الحياة ، فالامريكيون لهم اليد الطولى فى ميادين التجارب الخاصة بعلم النفس ووسائل التعليم . وتجارب رئيسهم روزفلت فى الاقتصاد لها شهرة عالمية ، كما أن للابحاث الخاصة بعلوم الحياة « البيولوجيا » التى يقوم بها العلماء الامريكيون خاصة فى كاليفورنيا صيتا ذائعا فى الاوساط العلمية

وما أقوله إنما هو ملخص لمجموعة آراء . أراد بها الكاتب الامريكى ويجام فى كتابه عن الوصايا العشر للعلم أن ينتقد الاساليب التى تتبعها حكومة الولايات المتحدة وهيآتها الاجتماعية . ويبين أن سير الامور على هذا المنوال سيؤدى حتما إلى هدم المدنية ، ونظرته فى كل آرائه بيولوجية بحتة . ومعلوماته من حيث الاحصائيات والتجارب مأخوذة من أمريكا

ويعترف ويجام أن آراءه بعيدة التصور والادراك فى بلاده وهى كذلك بعيدة التحقيق ولكنه لايرى مناصا من لفت النظر اليها على أمل انها قد تكون ممكنة فى المستقبل

وان مجموعة من الآراء تكون بعيدة التصور فى ذهنية الشعب الامريكى المخاطر لابد أن تكون فى حكم الخيال بالنسبة الينا . ولكننا نسردها ونعلق عليها لما فيها من معلومات طريفة تصلح لأن تكون غذاء فكريا نافعا

ولما كان مؤلف الكتاب مسيحيا فقد تعرض لما جاء فى التوراة والانجيل فى مواضع كثيرة دون التعرض لما جاء فى سائر الكتب الدينية

وغاية الدين جعل الناس أبراراً وتهيئتهم للحياة والنعيم الأبدى . وقد وضع فى الدين لتحقيق هذه الغاية . كثير من الوصايا والمواعظ والامثلة . وعمل الوصايا الحديثة للعلم هو لجعل الوصايا

القديمة ذات تأثير فعلي فالدين يطلب من الناس أخلاقا فاضلة ، وعلم الحياة يرينا أي الناس يجب أن تمتلىء بهم الارض ويرشدنا إلى أخلاق كونية عامه « بروتوتلازميه » ويعرفنا سبل الوصول الى بر دائم . فاذا كانت الوصايا القديمة تقول بالطريق الوعر الشائك المؤدى الى الملكوت السماوى والنعيم الابدى ، إلا أنها لاتوضح بالتفصيل الكافى كيفية اختياره

والوصايا القديمة تحذرنا من الجحيم بينما العلم يرشدنا الى انه فى الامكان تجنب جحيم الارض وانارة العالم بالطهارة والذكاء والسعادة

والواقع ان الانسان لايزال فى العصر الحجري للاخلاق اذ انه لم يتقدم فى هذه الناحية كثيرا لاهماله دراسة الحياة والاجتماع دراسة علمية ، لانه ليس لدينا للآن ما يسمي Science of Society ولكن العلم على كل حال يقدم لنا فى الوقت الحاضر قواعد ذهبية جديدة ، ومواعظ جديدة وهو كالدين يحذر المجتمع من الفساد ويشجعه على البر ، وهو لتحقيق هذه الغاية يتقدم بتحذيراته ووصاياه

وسنبدأ بدراسة التحذيرات وعددها خمسة

التحذير الاول

السلالات البشرية الراقيه آخذة فى الانحطاط

الدراسة الطبية الاحصائية الدقيقة تدلنا على أن الاصابة بالامراض ، والضعف تزداد بينما القدرة على مقاومتها تضعف وكذا ينقص نسل الطبقات الممتازة من جيل الى جيل

ان أمراض القلب والكلي فى أمريكا آخذة فى الزيادة منذ سنة ١٨٨٠ كما أن عدد قليلى الذكاء يكثر باستمرار . واختبارات الذكاء التى أجريت فى الجيش الامريكى بينت بوضوح أن العناصر « النوردية » الممتازة قد تغلبت عليها عناصر الانحطاط

ان الطبيعه كانت تستخدم قوانينها « كقانون بقاء الاصلح » كوسيلة من وسائل الانتخاب لتقدم العنصرى ، ولكن الاجتماع عطل الى حد كبير عمل مثل هذه القوانين فلماذا لاندع العلم ، يتدخل فى تقويه عناصر ووسائل الانتخاب ؟

ان الله مستعد أن يخلق قادة للعالم ولكنهم لايخلقون بالصلاة وانما من الخلايا الجنسية . الامر الذى غفلت عنه المدنيات القديمة فى عصورها الذهبية فاعقب ذلك انحطاطها . فاليونان لايمكن أن

يعود لها مجدها القديم لان عناصر الوراثة ، والدم الذى كان يجرى فى عروق عظمائها قد تغير . وان عظمة أسبانيا قد اثبت العالم ودز Woods رياضيا أنها قد قبرت مع عظمائها الاقدمين ولا شك أن كثيرين من قادة اليوم يقودون اممهم الي نفس المصير باهمالهم لمسألة اكثار نسل الفئات الممتازة

قد يظن البعض أن مسألة الذكاء والنبوغ وروح القيادة والدقة العلمية فى تمييز الامور تأتى للافراد من الوسط المحيط بهم ولكن الواقع يخالف ذلك اذ أن هذه الامور وراثية ١٠٠ ٪ ، أما الوسط فيهيىء الفرص لظهورها فى أصحاب هذه الميزات وفى أنسالهم

ولقد اثبت العالم كاتل cattel انه لايوجد عامل واحد من فئة عمال المياومة انجب طفلا يمتاز بالروح العلمية والدقة العلمية فى الحكم والتمييز

ويظهر أن المؤلف يريد من سرد هذه الحقائق لفت النظر الى وجوب بحث مسألة النسل بحثا مستوفيا ، وهذا البحث ربما يتحقق مستقبلا على يد عصبة الامم فتسن القوانين التى تتدخل بها فى حرية التناسل

ان الفقراء والمنحطين فى العالم كثيرون للغاية . وهذا ما دعا الرئيس لنكون الى القول بان الله قد أحب هذه الفئات حبا كثيرا فخلق منهم عددا وفيرا

وان القول بوجوب المساواة بين جميع البشر فى كل الشؤون . قول نهاجمه بقولنا « ان أعظم عدم مساواة فى الكون هو مساواة الغير المتساوين . فاذا ساوينا بين الفرص التى تمنح للناس نكون قد أهملنا المساواة بين الاناس المختلفين

ولبيان أهمية هذا التحذير ووجوب العمل على رقى السلالات . بزيادة نسل العظماء ، نقول ان فى أمريكا نحو ١٠ ملايين من الممتازين ومن هؤلاء فقط « دون بقية الشعب الذى يبلغ نحو ١٣٠ مليونا » سنحصل على ٩٠ ٪ أو أكثر من قادة امريكا فى المستقبل فان لم نحافظ عليهم ونهتم بانسالهم فاننا سنصل الي حالة الهمجية الاولى ونخضع لقوانين الطبيعة القاسية وتتلاشى مدنية امريكا . أما بقايا عظام قادتها فستكون مبعثا لدهشة وابتهاج المؤرخين القادمين فحسب !

التحذير الثانى

الوراثة هى العامل الاساسى فى خلق العظماء

الذكاء ، والقدرة على العمل ، وسمو العاطفة ، والخلق الداخلي الحقيقى كلها وراثية . أما شأن

الوسط فى الحصول عليها فضئيل يؤيد ذلك ما برى من اختلاف فى التقدم بين أناس وأخوة تحيط بهم ظروف واحدة

والتعليم واجب ، ولكن الاوجب منه أن يعطى لكل فرد حسب استعداده وذكائه لان الاذكياء يتقدمون بسرعة عن قليلى الذكاء فلا يلزم أن تعطى لهم فرص متساوية

وهناك احصاء يوضح ان الذكاء وعوامل الشهرة وراثية

ففى قاعة الشهرة نجد أن العشرة الاسماء الاولى بين٥١ اسما تخص أبناء وعاظ ولاننس أن الوعاظ فى امريكا أذكياء ولهم القدرة على التفوق فى الدراسة العالية

وأن ٢٦ اسما من السته والاربعين اسما الاولى لكل منهم قريبان أو ثلاثة لهم شهرة اجتماعيه كبيرة

وان اسما من كل اثنى عشر اسما من الاسماء الموجودة فى كتاب مشاهير العظماء المسمى Who's Who صاحبه قسيس

فالوراثة هى التى توضح لنا النسل وطبيعته ومايحتمل ان يكون عليه من رقى أما الوسط فضعيف لأن فاذا كان الرجال الطيبون يخلقون الكنائس فان الكنائس لاتخلق الرجال الطيبين

ومن الاقوال التى تؤيد مركز الوراثة مايلى :

« ليس مهما أن تكون قد ولدت فى جزيرة البط مادمت قد خرجت من بيضه أوزه »

« لاتشكر الهك لانك قد ولدت فى أثينا ، ولكن اشكره لان بذرتك كانت بها عناصر النبل والذكاء »

فاذا كان هذا هو شأن الوراثه فى توضيح طبيعه الناس وذكائهم وخلقهم فلا عجب اذن فى قولنا

« ان الامم تبنى على وثيقة الزواج »

التحذير الثالث

الاحسان بصورته الحالية ضار بالبشرية

الشعار الذى تتوج به هذه النقطة هو

« إن الانسان لايلزمه أن تسوقه العاطفة والقلب ، وانما يجب أن يحكم العقل ويجعل طريقة مستقراً بالذكاء »

إن طرف الاحسان الحالية من شأنها أن تعاون المنحطين والقليلي الذكاء والكسالى على المعيشة والاكثار من النسل.وعلى ذلك فهذه الطرق لاتقلل عدد المحتاجين ولـكنها تزيدهم . ومحاولة تهيئة النعيم لغير الجديرين بالحياة أو بالحرى لأنسالهم معناه خلق المشاكل والجحيم للجديرين بها . وهذه الحقيقة ملموسة لدى الـكثيرين والاحسان بوسـائله الحالية كما يقول بعضهم يسبب نصف تعاسـة العالم ولا يمـكنه رفع نصف ما يسببه من بؤس

نحن نعلم أن التبذير ، والقدرة على اقتناء الثروات وراثية مثل كثير من الصفات العقليه ، والخلقية ، والجسدية . وأن للمعوزين حق التناسل كغيرهم ولـكنهم لو تركوا وشأنهم لقل نسلهم كثيراً لعجزه عن السير فى معترك الحياة . أما الممتازون فلهم القدرة على تربية أطفالهم حتى سن البلوغ فاذا سارت الامور سيراً طبيعيا دون أن تدخل الاحسان فان عنصرهم يتغلب فى الـسلالات البشرية . ولـكن القاعدة الذهبيه كما هى مفهومة خطأ تهدم السلالة التى تتبعها

ماغاية الاحسان ؟ هل هى اطعام جميع الفقراء ، وايواء كل العجزة والمتشردين ؟ هذا مالا تقره الدراسة العلمية للحياه أى أن هذا لايقره البيولوجى الذى يدرك أنه على فرض وصولنا الى هذا الحد فانه سرعان مانجد أن الحلقه التى حاولنا اقفالها قد انفتحت ثانية لتتسع اتساعا شاسعا لايمـكن بأى حال أن نقوى على معالجته لأن النسل يزداد فى سرعة ويصبح أضعاف أضـعاف الأصل . إن الذين نعولهم اليوم لودققنا البحث لوجدنا أنهم أحفاد من كان يعولهم اجدادنا بالأمس ولـكنهم اليوم أكثر منهم عددا

ومن الغريب أن نعلم أن جميع الجرائم التى ارتـكبها الوطنيون فى الهند فى الجيل السالف ينتمى أصحابها الى ١٠٠ عائلة فقط

إن الطبيعة القاسية التى يقول عنها رجال الاحسان انها تميت الألوف لهى أخف ضرراً بالبشرية من طريقتهم فى الاحسان التى سوف تقضى على مئات الألوف

التحذير الرابع

كثير من الاجراءات الطبية يؤخر العنصر

إن معدل الوفيات بمرض السل كان ينقص تدريجيا فى القرون الـسابقة وذلك لوفاة المصـابين

بهذا المرض فى سن مبكرة . أما بعد أخذ الاجراءات الطبية الحديثة للقضاء على هذا المرض فقد حدث العكس وازداد المعدل .

وقد أثبت حدوث هذه الزيادة فى انجلترا حتى سنة ١٩١٨ وإن كان عامل الحرب لايمكن اهماله فى هذه الزيادة إلا أن الدارسين للموضوع يؤكدون أن هذه الزيادة كانت محققة على كل حال حتى لو لم تكن الحرب قد وقعت

ومسألة أخرى هى محاولة زيادة السكان بانقاص معدل وفيات الاطفال . ولكننا فى الواقع لم نحقق غايتنا اذ انه بانقاص معدل وفيات الاطفال . يزداد معدل وفيات الاطفال الكبار من سن سنتين إلى عشر سنوات . وقد حقق ذلك فى المانيا ، وانجلترا والغالب أنه حادث فعلا فى الولايات المتحدة وغيرها

وفى مصر حيث معدل وفيات الاطفال أكبر منه فى أى بلد فى الغرب نجد أن نسبة وفيات الشبان أقل من نصف نسبة وفيات معظم شبان أوربا

وقد تأكدت من هذا شركات مصر للتأمين على الحياة

فالفكرة التى نريد أن نصل اليها هى أنه لافائدة ترجى للسلالة من نسل ضعيف المقاومة بالوراثه

وعلى ذلك فالسلالة التى تريد أن تخلص نفسها يلزمها أن تفقد نفسها (على حد تعبير المسيح) أى تفقد غير اللائقين منها . والسلاله التى تضع نفسها (من حيث العدد فتحتفظ بالممتازين فقط) ترتفع . لأنها تكون بيولوجيا جوهرة فى تاج البشريه

انه من غير الممكن أن نجنى من الشوك عنبا ولا من الحسك تينا

التحذير الخامس

لاجتماع الحالى لايساعد على التطور

آدم الانسان الاول كانت فيه عدة عناصر متعددة أورثها على ممر الاجيال لذراريه وبعضها قوى عند بعض الناس بينما البعض الآخر قد ضعف ، ولولا ذلك لكانت الناس جميعا نسخا متشابهه من آدم نفسه . ففكرة التطور فى الانسان بعامل الوراثة واضحة . وقد أدرك موسى فكرة التطور فى سفر التكوين ولكن توضيح تفاصيلها من مهمة العلم

فاذا كانت البشرية تسعى نحو الرقى والتطور نحو الكمال فيجب أن نعرف أن العلم والفن

لاتاثير مباشر لها فى تحسين السلالة . انما السلالة تتحسن بالاختيار المقصود (وذلك فى الزواج) لان البيئة ليس لها شأن خطير كما ذكرنا فاذا أكلت الجدود الحصرم فالاحفاد لا يضرسون .
واذا كان النبي يقصد بهذا القول أن اجرام الوالدين تقع نتائجه على الابناء فهذا لايكون صادقا تماما فى أى حالة من الاحوال كما هو فى حالة ارتكاب جرم واحد خطير هو اختيار زوجة مجرمة أو زوج مجرم

وليعلم الجميع أن السيقان الخشبيه لاتورث وانما العقول الخشبية هى التى تورث
والى هنا تنتهى تحذيرات العلم ويعقبها الوصايا العشر التي نمهد لها بالكلمة القصيرة التالية

سينا الجديده (أى مكان الوحى) هى المعمل

الاديان تطالب الناس بادراك ماهو أدبي من الامور ، وما هو غير أدبي واتباع ما يرضى الله وتجنب مالا يرضيه . ولكنه ليس لدينا فى الواقع احصاءات أو ابحاث توضح ما هو مطلوب ، وما هو غير مطلوب . والعلم على العموم يضع لنا قاعدة عامة هي أن كل عمل يخدم الحياة يعتبر واجباً وكل عمل يؤذى الحياة ويعوق رقيها يعتبرغيرأدبي . وأبحاث المعامل ستبحث لنا عن مقاييس خلقية جيدة واضحة يعرف بها أبسط الناس ، ماهو صالح وما هو غير صالح . لاننا الآن لسنا فى حاجة الى روح دينية كما نحن فى حاجة الى جعل هذه الروح فعالة

إن كلمة الضمير التي كثيرا ما يقال أنها الحكم الاهم فى مثل هذا الاشكال قد أثبتت المعامل أنها فى الغالب تبعدنا عن البر لانها تتأثر بالخرافات ، وتجهل السيكولوجية . والضمير فى الواقع اسم لجميع منازعات النفس الداخليه ممتزجة بضغط المجتمع والمركز الاقتصادى للفرد ، وبعظمته الشخصية

والرجل البار كما يرشدنا العلم هو الذى يعمل بذكاء ، ويخضع سلوكه للاختبارات النافعة مهما كانت قاسية

فمثلا الضمير الديني يصرح دائما بوجوب عدم تشغيل العاملات الحاملات الا ساعات قليلة رفقاً بالاطفال الذين يولدون ضعافا دائما . ولكن العالمين بيرسون وجالتون أثبتا بابحاثهما أن موت أطفال العاملات اللاتى يشتغلن فى أثناء الحمل أوضعفهم انما ينشأ عن مسألة وراثية هى ضعف الزوج وكسله ،

الامر الذى يضطر الحامل الي الاشتغال . فضمير العلم يقول بأن مثل هذا الزواج يجب أن يمنع أو أن يكون بلا أطفال أى انه يضاد الفكرة الديمقراطية التي هى أحسن شكل لحكومة رديئة فى رأى المؤلف . لنختر أى صورة للحكم ولكن على شرط انا نجعل العلم صالحا لخدمة السياسة (أى أننا Politicalize Science) .

الاوامر أو الواجبات العشرة للعلم

(١) واجب اليوجنية

اليوجنيه ليست هى — كما يفهم بعضهم خطأ — محبة خالصة ، أوهى علم الصحة الجنسى أو تجربة فى الزواج أو دعاية وحملة لصالح الرذيلة ، أو ثقافة والدية ، أو زواج اجبارى أو قتل للضعفاء ، أو مشروع لخلق الانسان الكامل ، أو لتوليد النوابغ . أو مشروع لنزع الخيال من الحب أو لتوليد وحدات انسانيه تشابه الحيوان . وهى ليست أيضا وسيلة للتخلص من المثل العليا للنوع ، والمبادىء الادبية ، والبيت والوالدية . ليست هى شيئا من هذا وانما هي محاولة لرقى الانسان عقليا وخلقيا وجسميا واجتماعيا وماديا وتوفير السعادة للنوع البشرى

من الأمور التى حققتها المشاهدة أن الحيوان فى البرية لا يظهر بينه الجنون إلا نادراً وذلك لأن الحيوان المجنون ينهزم بسرعة فى معركة الحياة . أما الحيوان المستأنس فكثيراً ما تظهر بينه المجانين . وهذه الظاهرة لها ما يشابهها فى الانسان فبينما نجد أن نسبة الغباوة قليلة جداً بين المتوحشين نجدها كبيرة بين المدنيين ، وما ذلك إلا لان قسوة الحياة بين المتوحشين تقضى على قليلى الذكاء أولا بأول ، بينما المدنية تتيح لهم العيش والتناسل ، ولكن كيف نستطيع أى تصرف فى حل مثل هذا الاشكال . المسألة ليست سهلة التحمل ولكن يلزمنا أن نعلم أنه عندما نبدأ فى القضاء على عوامل الانحطاط فى النوع البشرى فان تعاليمنا وأفكارنا سرعان ما تتحول وترضى بالتصرفات الجديدة واعتبار أن تصرفات الامس هي التى كانت قاسية

فالأمل فى اليوجنية وهو أمل النوع البشرى بأجمعه حاضره ومستقبله معقود أولا على علماء الحياة لتزويدنا بالمعرفة التى لا بد منها ، وثانياً على الكتاب والفنانين والفلاسفة والدعاة إلي المثل العليا ليخدموا فى أعمالهم وجهة النظر البيولوجية لان العلميين يوجدون لنا الحقائق أما الفنانين فهم الذين يخلقون الحياة لهذه الحقائق

إن المصلحين فى عصرنا الحالى الذين يدعون إلى خدمة إخواننا فى الانسانية قد اكتشفوا نصف الدين فقط . أما علم الحياة فقد اكتشف النصف الآخر وهو اسعاد اخواننا الذين لم يولدوا بعد . فالقاعدة الذهبية الجديدة للعلم تقول اعمل لغيرك (ولد أم لم يولد بعد) ما تحب أن يعمله الغير معك

فالعلم لم يأت ليهدم مبادىء الدين ، ولكن ليكملها

(٢) واجب البحث العلمى

لقد اكتشف العلم أن الاذكيا حقاً هم فى نفس الوقت أصحاب المبادىء الخلقية القويمة ، ونحن جميعاً يمكننا أن ندرك بسهولة انه لايمكن أن يكون الانسان باراً ما لم يعرف ويفهم جيدا السبيل الى البر . والعلم الآن قد وصل إلى مكتشفات كثيرة ولكنه عاجز عن الاستفادة بها لخير المجتمع وتقدمه العضوى والفكرى والخلقى

(العالم الآن ينقصه التوفيق بين جميع المكتشفات وقد بحث ذلك الكاتب الكسيس كاريل رئيس مؤسسة روكفلر فى فرنسا فى كتابه « الانسان هذا المجهول »)

ان الاله فى العصر الحالى لا يقبل منا أن نجعله إلهاً للعبادة فحسب بل دعانا إلى معرفته فيجب أن نسلك الطريق القويم وذلك بالبحث العلمى لمعرفة الله معرفة حقه ، وواضح أن التعاون مع قوانين الطبيعة هو تعاون فعلى مع الخالق

(٣) جعل العلم اجتماعيا

الفكرة العلمية فى دماغ العالم لا يمكن أن تكون نافعة للمجتمع ما لم توضح له ، كما أن الفكرة الفنية فى دماغ الرسام لا يمكن أن يكون لها تأثير ما لم تطبع على القماش . والحادث الآن أن نظريات الاجتماع والسياسة الصادقة هما فى أدمغة أناس عاجزين عن تنفيذهما ، لهم تمام العلم بهما وليس فى أيديهم قوة لتنفيذهما . هذا فى حين ان القواد والحكام الفعليين فى ميدان السياسة والاجتماع لهم القدرة الكبيرة على التنفيذ ولكن بكل أسف معرفتهم ضئيلة نسبياً أو خاطئة

والادلة على أن هذه هى حال حكام اليوم هي أولا اختيارهم بواسطة جماهير العامة لا الخاصة من الاذكياء والعلماء وان صوت أكبر علماء الحياة ليعادل فى ميدان الانتخابات صوت فرد أبله أو عاجز ، فالملايين تختار الحكام لأنهم منهم . وفى أمريكا أحصيت هيئة الحاكمين فى الربع الاول

من القرن العشرين ووجد أن سبعهم فقط حصل على دبلوم عال . ومعلوم من التحقيقات الدقيقة أن عدم الاقبال على الدراسات العالية وعدم توفر الظروف وسببه عدم التفوق فى القوة الذهنية « في المخ » والنقص في القوة والضعف فى المبادىء

واذا قيل ان كثيرا من الحكام وصلوا الى مراكزهم بالثورات فان هذا القول مردود عليه بأن أثر الثورات هو تبديل الرجال لا تبديل الحكمة التى فى الرجال . وإن دعاة الديموقراطية يقولون دعوا الشعب يحكم نفسه ، وهم على علم تام بأنه عاجز عن ذلك . وان تغذية الجماهير بمبادىء رنانه لها أهميتها فى الانتخابات . ولكن ليس لها أهمية مطلقا فى تحسين جوهر الحياة

يجب على العالم أن يفسح المجال للحكماء والعلميين ليحكموه . ان حكام اليوم قد اكتشفوا فى العلم انه وسيلة جديدة لاكتساب الثروة والقوة فقط ولكنهم لم يكتشفوا ما هو أخطر من ذلك وهو ان العلم سبيل الى اكتشاف الحق ، وانه حياة جديدة ، ووسيلة جديدة لاتصالنا بالكون اتصالا وثيقا

حقاً ان النابغين وحدهم هم الذين يخلقون العلم الجديد ، ولكن الناس أجمعين يمكنهم ادراك الروح العلمية لوحاول العلماء توجيهم اليها . وعلى ذلك نعلل عدم انتشار الروح العلمية الى أن الناس ضعفاء فى التعلم Poor Learners إذ الواقع انه منذ أن اكتشفت نظرية التطور وهي من أوثق النظريات اتصالا بالحياة ، والرجل المتوسط لا يعرف عنها أكثر من أنها تقول بأن سلف الانسان قرد أو شبيه بالقرد . وواضح ان الذنب فى ذلك يقع على العلماء الذين لم يقفوا الناس على أسرارهم بسبيل تحوطه الصداقة والاحترام لا النفور والتحقير

نحن نحمل الفنان مسؤولية اخراج القطع الفنية ، ومسؤولية اقبال الجمهور عليها . فلماذا نتساهل مع العالم مع أن مسؤوليته أعظم ؟ والنتيجة ان العلم لا يمكن أن يصيب مرماه من حيث توافر السعادة الحقة للبشرية ما دام منفصلا عن الناس ، والذكاء لا ينمو ولا يحافظ على بقائه إلا بتنازله عن كبريائه . وفعلا جعل العلم اجتماعياً مهمة شاقة للغاية لا يمكن أن يؤديها الحاكم والعلمي وحدهما ولكن لا بد لذلك من تعاون الفنانين والروحيين والفلاسفة والمعلمين معهما . وكل هذا يأتي أولا عن طريق دفع الحكام لهم جميعاً

لقد نهض الغرب نهضات سياسية ، وفكرية كثيرة ، ولكن الخطوة بالذكاء بعد ذلك هى النهضة الروحية ، فاذا خطا الغرب هذه الخطوة فسرعان ما تعم هذه النهضة العالم كله عن طريق العلم

لا عن غير هـذا الطريق . فقد يمكن جعل الغرب شرقا والشرق غربا فى ميادين السياسة والاجتماع

واذا ربحنا العالم كله دون أن نتقاسمه مع بنى نوعنا فالمدنية ستخسر نفسها لان التنظيم الإجتماعى للعلم هو بكل بساطة التوجيه العلمى لمحبة الله.

(٤) التغير، والملاءمة والانتخاب ، والوراثة

هذه الالفاظ مألوفة لدى الدارسين لعلوم الحياة ، وهى تدل على وسائل التطور ، واليوجنية عندما تسعى الى اتخاذ خطوات سريعة لتطور الانسان انما تقصد الى ترقية صحته وعقله وقدرته وعلى ذلك فنقد ويلز ، وشو للوسائل اليوجنية باعتبار أنها هى نفس الوسـائل المتبعة مع الحيوان لا محل له ، لان القصد من اتباع الوسائل الاخرى ، انما هو ترقية ناحية واحدة فى الحيوان دون الاهتمام ببقية النواحي

ونقد هذه الوسائل باعتبار أن ما تسعى اليه ليس إلا مثلا عليا . لا محل له أيضا . فى ظل العلوم الحديثة التى تجعل هذه الامور ممكنة التحقيق ولو بصعوبة

وتدخل العلم لتعيين الاتجاه الصالح للتطور أمر واجب ، ويكون ذلك با كتشاف مقاييس للانسان في المرا كز الصناعية ، والاقتصادية أولا ، وفى المرا كز السياسية والاجتماعية ثانيا

المقاييس للمرا كز الصناعية :

إن تعقد النظام الصناعى فى الجيل الاخير . يجعلنا نعتقد ان الفرد أصبح عديم القدرة على اسعاد نفسه الا فيما ندر ، وغالبا بطريق المصادفة

وان الافراد الذين لهم القدرة على مجاراة النظام الصناعى قلائل وقد تفقد أنسالهم هذه الصفة بالتزاوج بالمصادفة لا بالاختيار الدقيق

وربما كان هذا الامر لحدوثه دائما فى الاجيال الماضية هو السبب فى جعل فئة العمال فى النوع البشرى أغلبية ساحقة

ولذلك فنحن الآن أمام أمرين ولا بد ان نساير أحدهما : فاما ان نجعل العلماء يشتغلون بجد فى اكتشاف الوجود بالفعل فى النوع الانساني من نواحى القدرة لملائمة النظام الصناعى القائم ، ثم اعطاء كل فرد نصيبه من العمل المناسب لقدرته

وإما أن نترك المسألة كما هى عليه ونترك تعقد الآلات يسير فى سبيله ، فلا يقوى على مجاراة الحياة فى ظل هذا النظام ، إلا من يغلب . أى أننا نترك أنفسنا لعامل جديد من عوامل التطور ونخضع له وهو عامل النظام الصناعى ، وهـذا العامل بالاضافه الى الانتخاب الطبيعى كفيل بان يؤدى الى انهيار المدنية الصناعية باكلها ، فأى السبيلين أجدى للبشرية ؟

المقاييس السياسية والاجتماعية

الذكاء آلى واجتماعى ومطلق والوسائل العلمية الحديثة يمكنها قياس النوعين الاولين ، ولما كانت كل الانواع يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا . فقياس بعضها يعطينا فكرة صادقة الى حد كبير عن الذكاء بوجه عام

ولتحقيق المثل العليا اليوجنية وهى نفس المثل العليا للبشرية يلزم أن نختبر الناس حتى يتيسر لنا أن ننتخب لكل فرد الصناعة والعمل الذى يلاءمه ، ومتى فعلنا ذلك فاننا نحصل على فائدة خطيرة بطريق غير مباشر ، اذ أننا بذلك نضع النساء والرجال المتحدى الميول فى محيط واحـد مما يسهل حدوث زواج مرغوب فيه يوجنياً . وهذا الاختبار ان أمكن الى حد ما فى الوقت الحاضر وفى المستقبل القريب ، فسيكون تقريبيا لانه ليس فى الامكان قياس الناس من حيث الجسم والعقل بدقة تامة

وعلى العموم فالخطوة الاولى تكون معاملة الناس دائما لا كمجموعات بل كأفراد غير متكافئين وأن نقيس كفاءتهم باسرع مايمكن بقدر مايعدنا العلم من وسائل ولو تقريبية . ويكون تقديرنا للمركز السياسى أو الاجتماعى للفرد بعد ذلك متفقا مع مميزاته ، مع مراعاة ذلك عند اختيار زوجه له . وهذا الامر الاخير سيعرفه الناس بسهولة عند ماتتقدم معرفتهم بعلوم الحياة ، وهنا أذكر لكم أن بعض رجال الدين المستنيرين يقولون ان معرفة الشاب والشابة بعلوم الحيـاة أصبحت من ألزم الواجبات للتوفيق فى مسالة الزواج الخطيرة . أما ترك كل الامور كما هى عليه بدون مقاييس فالضرر منه واضح . خذ لذلك مثلا يحدث فى الحياة فى كل أمة فى هذا العصر . ماهو قدر الذكاء الواجب توافره فى الناخب ؟ لا اجابة مقنعة على ذلك غير أنه فى ظل الديمقراطية يكفى أى قدر . اننا نجعل جميع الناس تعطى أصواتها فى كل المسائل . فى الانتخاب للمجالس ، وعلى مسألة الديون الخارجية وعلى الدفاع الاهلى ، والسياسة الخارجية ، وعلى مسائل العمل والعمال وعلى كل أمر مع أن العلم قد أثبت بكل دقة أن الانسان له القدرة على الانتخاب بجدارة وحسن تقدير ، فى بعض المسائل دون

غيرها . هذا واحد من الاخطاء التى نقع فيها ولانستفيد من العلم الحديث ، الذى يمدنا باختبارات تساعد بالفعل على تحديد القـدرة السياسية والاجتماعية للافراد ، وتنشىء قيما حقيقيـة ومقاييس واضحة لزواج موفق الامر الذى هو الغاية العظمى لليوجنية

نحن الآن أكثر معرفة للطبيعة البشرية من الاجيال السابقة . فاذا كان السلف قد أخطأ لجهله بهذه الطبيعة . فليس لنا ، ولا للاجيال المقبلة عذر فى عدم القيام بالاصلاحات الواجبة . اذ أن الفرصة أصبحت تسهل النجاح . ولايمكن أن تقوم مدنية حقة أو مجتمع انسانى سام إلا عن طريق الانتخاب حسب الذكاء ، وجعل مهمة التعليم حفظ المزايا الحسنة ليمكن نقلها الى الورثة

(٥) جعل الصناعة ملائمة للروح الانسانية

ماذا يحـدث للبشر لو أصبح العالم طوبيا أى دولة مثالية ؟ انه سرعان ماينقلب الى شيوعية قاسية لو قورنت بها شيوعية روسيا الحديثة لاعتبرت الاخيرة جمعية خيرية . اذاً فهذا الامل ليس من صالح البشر تحققه . فضلا عن استحالته

وماذا ننتظر أن يحدث للبشر لو أن قادته فى السياسة والاجتماع تتلمذوا على أيدى العلميين أمثال فرويد ، وديوى ، ولى ، وغيرهم ؟ أظن أن فى ذلك كل الخير لاننا نقاد بعد ذلك على أسس صحيحة تتمشى مع طبيعتنا الانسانية ، ولا نتخبط فى سبل غير صالحة لنا . كما يحدث فى كثير من المسائل فى الوقت الحاضر ، وكما كان يحدث كثيرا جدا فى الماضى

فمثلا كان يظن فى القرن الماضى أنه بتخفيض ساعات العمل اليومى الى ٨ ساعات يتوافر من الفراغ مايساعد على سعادة العامل ، ولـكن الواقع غير ذلك فقد أثبت العـلم أن الانسان لايهمه العمل مهما كان قاسيا مادام فى الامـكان إرضاء غرائزه . وقد أدرك فنانو اليونان وفلاسفتهم هذه الحقيقة ولذا فان آلهتهم لم يكن فيها سوى واحد فقط يعمل ، أما الباقون فانهم يلعبون أو يحبون النساء ، أو يمارسون الفنون

وزيادة الاجور لاتجـدى نفعا ولاتوقف اضراب العاملات فى كثير من الحالات لانه كثيرا مايـكون الاضراب بسبب نظام الصناعة ، والآلات المعينة التى قد تضطر النساء الى هندام خاص أو ترتيب شعورهن بشكل معين لايتفق وماتريده الأنثى من جمال

ويخيل الى الجميع أننا قد وفقنا الى انهاء أحـد اضرابات العمال عنـد ماتطلع علينا الجرائد

ورءوسها تتحلى بالعنوانات ذات الخط الكبير العريض معلنة أن العمال يطلبون زيادة الاجور أو انقاص ساعات العمل . ولكن المسألة كثيرا ماتكون فى حقيقتها وجوهرها غير هذا . وقد درس أحدهم هذه المسألة بتدقيق . واتخذ موضوع تعدد الاضرابات بين العمال المهاجرين الى أمريكا مرشداً لبحثه . فوجد أنه فى سنة ١٩١٠ كان نحو ثلاثة ملايين ونصف المليون من العمال المهاجرين الى أمريكا لم تكن لهم عائلات أو حتى علاقات طبيعية مع نساء وأطفال وبيوت أو أى شىء مما يرضى غريزتهم الاجتماعية . وهذا يوجهنا الى السبب الواقعى للاضراب وهو آت من الغابة لا ماهو مذكور فى صدر الجرائد

وعلى ذلك فانه لا يمكن أن نقوم باصلاح نافع مالم يكن المتحكمون فى الصناعة والسياسة لهم دراية تامة بعلم السلوك البشرى والثورات

ولكن الواقع بالفعل لايحقق الاصلاح لأن الانسان لايفكر تماما ، وانما فقط يفكر أنه يفكر فيضيع معظم حياته فى انتحال أعذار معقولة لتصرفاته الغير المعقولة

والثورات الصناعية ليست هى ما نحتاجه بالضبط ، وانما هى أمر طبيعى يتطلبه التطور الصناعى الذى نحن فى أشد الحاجة اليه . هذا التطور الذى يتمشى مع طبيعة البشر

ولنعلم الآن أن التردد على مدارس الاحد ليس فى طبيعة الانسان وانما هو يفعل ذلك مجبرا . أما الصيد والقنص والقفز والطيران فكلها أمور تتمشى مع طبيعته . ومن غرائز الانسان التى تلى فى الاهمية الغريزة الجنسية ، وغريزة طلب الطعام مباشرة هى غرائز عدم اراقة ماء الوجه والغضب من أجل التقدير الذاتى والاجتماعى

والواقع أنه لاتوجد مشكلة للعمال باعتبارهم مجموعات ، وانما كل عامل فى ذاته مشكلة يلزم حلها على انفراد من الوجهة النفسية والبيولوجية والفسيولوجية . فالناس فى علاجهم لا يمكن أخذهم كمجموعات وانما كأفراد لنتعرف مافى كل فرد من المزايا وخاصة الروحية فيها

والمجتمع لا يمكن أن يكون كاملا مادامت أفراده غير كاملين ، ولكنه فى الامكان أن يسير نحو الرقى لان فى طبيعة الانسان مايدفعه للسعى للوصول الى حال أحسن مما هو عليها ، ومع ذلك فالانسان نفسه يجهل أن هذه المكافحة لاجل التقدم هى المكان المنشود والمثل العالى للاجتماع

(٦) الانتاج المفضل

فى عام ١٩٢٠ عمل احصاء فى أمريكا يتضح منه أن نصف المدرسين فقط يقدم على الزواج

وأن لكل عائلة من عائلات المتزوجين منهم ٢،٢ من الاطفال في المتوسط . وهذا هو نفس متوسط عدد الاطفال في عائلات المحامين ، والقضاة ، أما في عائلات المؤلفين ، والاطباء فالمتوسط ٢،١ فقط واقل البيئات اطفالا هي عائلات الكيميائين حيث لايزيد متوسط عدد الاطفال لكل عائلة على ١،٨ . في حين أن هذا المتوسط بين عائلات عمال المناجم والكناسين وماسحى الاحذية يرتفع الى ٣،٦ طفلا لكل عائلة

وطبعا يضع الدين المعلم ، وماسح الاحذية في مستوى واحد وينظر اليهما باعتبارهما متساويين ولكن في نظر الرقى البيولوجي ، والاخلاق ، والاجتماعي نعتبرهما مختلفين تمام الاختلاف فالمعلم يهذب النفس ويبعث بالعقل الي مخاطرات نافعة . أما الآخر فيجعل الحذاء لامعا فحسب !

لقد سار الطهريون في السبيل القويم عن هذا الموقف (وان كانوا لم يشعروا بذلك) فقد اقاموا الصلوات ناظرين الى الرب بعين واحدة ، أما العين الاخري فانفتحت للاستيلاء على الهند واستعمارها ، ومنهم من جعل الدنيا المجهولة القاحلة كالعربة دنيا جديدة هي امريكا ذات القوة العالمية ولكن ذريتهم الآن آخذة في التناقص ، وهذا مما لاشك فيه يجر العالم الى التأخر

واذا سارت الأمور كما هي عليه الآن فان عدد سكان امريكا في سنة ٢١٠٠ سيصبح ١٩٧ مليونا ، ولكن من أى نوع من السكان ستكون هذه الملايين ؟ هذا يتوقف على ما نتخذه من اجراءات من الآن فصاعدا

واذا علمنا أن (ربع) الجيل الحاضر فقط ينشأ عنه (نصف) الجيل المقبل ، ومن هذا النصف ينشأ $\frac{٣}{٤}$ الجيل الذى يليه وعن هؤلاء نحو ٩٨ ٪ من الجيل الرابع ادركنا السرعة التى تنتقل بها خواصنا إلى الاجيال المقبلة ، وأدركنا اهمية تشجيع الممتازين على التناسل والنمو

وهذه الفكرة كسائر الافكار البيولوجية ليست غايتها هدم المبادىء القائمة ، وانما غايتها جعلها متمشية مع أسس التطور ، لخلق السعادة الحقيقية ، وتهيئة فرص مقدسة لحياة متجددة ، مرورها أغزر واسمى ، والصدق والجمال متحققان فيها بفضل الوسائل الدائمة التجدد

٧ — واجب الاعتماد على الذكاء

لايمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات فاضلا متقدما ، مالم يقدر للذكاء قدره ، وقيمته التى كانت له في الغابة . إن التطور لم يستخلص من المعارك الدموية التى قامت لتحقيقه عن غير قصد

قوة عضلية ، وصوتا جهرا ، ووحشية قاسية وانما استخلص لنا اهم ما فى طبيعتنا البشرية من الصفات الملائكية وفى قمتها الذكاء

وليس تعلم الفرد فى جامعة هو كل شيء فان أفراداً لم يتعلموا فى الجامعات أظهروا قدرة عظيمة فى القيام باعباء عظيمة ، وكل ما اكتسبوه من خبرة حصلوا عليه من ادارة مزرعة صغيرة . فالذكاء والقدرة لا تعلم وانما تورث ، والعلماء الآن يكتشفون فى الاشخاص الذكاء وقوة الارادة ولكن لا فائدة تعود على العالم من هذا مالم يزود أصحاب المواهب بالقوة اللازمة للتأثير فى المجتمع ، وهذا لا يتحقق لهم الآن ، إلا عن طريق الحاكمين .

ولكننا الآن فى عصر لا نحاول فيه حل المشاكل الاجتماعية بالفعل ، كما نحاول حل الكلمات مثل الديمقراطية ، والنجاح ، والأخاء ، والانسانية وأمثالها من الكلمات التى مكانتها فى السياسة والاجتماع الآن ، كمكانة كلمة الله فى الاديان . فنحن نعرف أن الايمان بها دون السعى الجدى ، للحصول على مزايا روحية من هذا الايمان ، كما هو الحادث ، كفيل لنا بالخلاص . وهذا طبعا لا يحدث

ورغما عن قلة الذكاء فى العالم ، فان الاذكياء لا يعاملون المعاملة الواجبة ، ولعلنا على قلة الذكاء ـ أنه فى أكبر الاوساط تعلما (والتعليم كما نعرف يقلل شأن الاعتقاد بالخرافات) ـ نجد أن كثيرين يؤمنون بخرافات متعددة كالعلم بالغيب وغيرذلك فاذا كان هذا هو شأن شباب الجامعات فماذا يكون مدى ايمان الجماهير بامثال هذه الخرافة ؟

وعلى ذكر التعليم نقول انه من الواجب أن نوجد نواح جديدة للتفكير ، أما اتخاذ آراء الاغريق أو الرومان أو غيرهم من المفكرين القدماء كموضوعات للدراسة ، فليس أنفع لنا من محاولة خلق أفكار جديدة ، وتشجيع الحرية فى التفكير التى يجب أن تكون هى المثل العالى للتعليم . واذا كانت أهم علامات التعلم ، كما يقول بعضهم ، هى القدرة على الحكم على الاشخاص بمجرد رؤيتهم فعلى هذا الاعتبار فان جيلنا الحالى غير جدير بأن يوصف بالتعلم لأنه ليس فى مقدوره أن يحكم على الشخص إلا من حيث وجاهة ملبسه ومقدار ما فى جيبه من النقود . أما المكانة أو القيمة المعنوية للاشخاص فليست لنا فراسة تذكر فى معرفتها

وللتدليل على عدم رعاية الذكاء نقول :

(١) إن البحث العلمى وخاصة البحث البيولوجى لا يجد التشجيع المادي من أولي الأمر كما تجد إحدى العاب الرياضة مثلا

(٢) إن أذكياء المتعلمين يطردون من مراكزهم لانهم يدرسون مسائل التطور ، ويقولون أن الانسان تطور عن الحيوان وقد يكونون أخلص دينا من الدهماء

(٣) إن صوت العامل الذى كثيراً مايستجدى قوت عائلته منا يعادل صوت أذكى العلماء فى الانتخابات . وقد يكون لصوته أكبر شأن فى طرد العظماء من مراكزهم مع أن كل الديمقراطية فى العالم قد منحت له عن طريق المفكرين

ان الديمقراطية تحتاج الى القيادة الحكيمة ، ولا يظهر مسؤولية الارستقراطى سوى النزعة الديمقراطية فلا غنى لنا عنهما حسب المواقف والظروف

واذا أدركت الشعوب قدر المدنية والرفاهية التى يهيؤها لهم العلماء لجعلوا من العلماء ملوكا . واذا ثار العلماء فقل على المدنية والسلام

(٤) انا نجد فى هذا العصر بعضا من العلماء غيرقادرين على طبع مؤلفاتهم أو تسجيل مخترعاتهم ونجد فى نفس الوقت شخصا حقيرا له القدرة على تحريك يديه أو رجليه بصورة هزلية فيكتسب من وراء هذا الهرج (لا الفن) السينمائي أموالا طائلة فاسينما فن للجمهور ولا يمكن اعتبارها فنا عظيما يرضى السادة الاذكياء مع أنه في الامكان جعلها فنا ممتازا يوجه الجمهور نحو الجمال والفن وتقديرهما ويجعله دائما متطلعا نحو الحرية الحقه والسعادة المؤكدة ، فتحظي البشرية بعصر ذهبى لامن من ناحية المادة ولكن من الناحية الروحية

(ومن الامور التى تعطل نمو الذكاء الرشوة — والمحسوبيه — ونظام الاقدمية فى الترقية)

(٨) واجب الفن

قد يظن البعض ان الفن آخر ما يجب أن يفكر فيه البيولوجى ، ومما لا يجب أن يفكر فيه مطلقاً رجل الحكومة . ولكنه فى الواقع أعمق ما يجب أن يهتم به الاثنان . لان الفن هو الذى يعلمنا أىّ الامور طيب وأيها قبيح ويضع لنا مقياس الجمال والفضيلة . ولادراك خطورة الفن فى مستقبل البشرية نقول إنه يضع لنا المثل العليا ويشجع على بقاء صور معينة دون سواها . فمن أثر الوجه اليونانى المثالى تغير وجه الناس تدريجيا من قرن إلى آخر حتى أصبحت وجوهنا أقرب إلى هذا الوجه من وجوه أسلافنا . وسبب التغير فى الوجه فى ايطاليا ابان عصر النهضة وبعده انما

يرجع الى اهتمام الفن بالوجه اليوناني وتحبيبه للناس مما شجعهم على الحرص على بقائه دون أن يشعروا ، فانتشر هذا الوجه فى الانسال سريعا

وإذا كان العلم يبحث فى المادة والطاقة فالفن يبحث في الحياة نفسها فى جمالها وأحلامها فعند ما يمدنا الفن بصور حسنة للحياة سمت عقولنا وأنتجت وأصبحت ولها القدرة على الاختيار الحسن ومن ثم تتفوق السلالة

ومن هنا تتضح لنا مسؤولية الفنان إذ عليه أن يعطينا صوراً صحيحة للحياة الحسنة ، ومثلا جديرة بأن نحذو حذوها ، وتؤدى بالبشرية الي دوام التقدم . وعلى ذلك يجب أن تكون معرفته للأمور التى يتعرض لها فنه معرفة صحيحة

فالروائى الذى يظهر لنا رجلا جاهلا وزوجته أجهل منه ويبين ان أولادهما أذكياء أتقياء رغم أن ذلك من الشواذ التي تكاد تكون مستحيلة الوقوع (وعندما تقع يجد العلم تفسيراً لهاطبعا) مثل هذا الفنان مؤذ لان مثل هذه الرواية لا تصلح أن تكون مثلا للجمهور

والرسام الماهر يراعى فى اختيار تقاطيع الوجه والجسم أن تكون من التقاطيع التى لا تظهر فى الاغبياء والبله والمرضى والا حبب الجمهور فى مثل هذه الصور المؤذية بالنوع . وهكذا . .

وليس معنى هذا أن نطلب من الفنان أن يكون عالما بيولوجيا كيمائيا تاريخيا الخ الخ لان الفنان أسمى من أن يكون عالما ولكننا نطالبه بالالمام بالقواعد الاساسية فى العلم للمسائل التى يتصل بها فنه وهذا أمر يسير علي متوسطى الذكاء

(٩) واجب العالمية

كما ان الانسان فى حالته البدائية وكذا الحيوان فى الغابة كان الموت لهما تراجيديا كذلك الحال في العصور المدنية اذ يتم الموت تراجيديا بسبب الحرب التى يعشقها البشر لاسباب بيولوجية أعمقها حفظ النفس . ويلى ذلك حفظ النسل ثم حفظ النوع . وفى العصور التاريخية قل حفظ النوع وأصبح الانسان يحارب ليشبع وليشبع طفله الذى يصرخ من الجوع . والحرب علي هذا الاساس لايمكن ابطالها لازدحام العالم بالسكان باضطراد وسرعة

ففى ملايين السنين التى مرت علي البشر منذ الخليقة حتى سنة ١٨٠٠ صار عددهم ٨٥٠ مليونا وبعد ذلك بمائة سنة فقط أي فى سنة ١٩٠٠ أصبح عددهم ٢٠٠٠ مليونا فالزيادة سريعة والعالم

لا يمكن أن يتسع لا كثر من ٥ بلايين نسمة وعلى ذلك فامتلاء الارض سيتم قريبا من أحفاد أحفادنا وربما يكون بعض الاحفاد على قيد الحياة في تلك الايام . وواضح انه من الامور التى تساعد على ازدحام السكان وامتلاء العالم تطور الصناعة — وتقدم الطب الوقائى — وتقدم الشعور الانسانى الدينى الذى يحمى الضعفاء

فماذا يجب أن يكون موقفنا امام الحرب . هل نقول ونعلم كما علم رجال سنه ١٩١٣ البشر ان يستعدوا للحرب فى وقت السلام . أم نعلم الناس ان يستعدوا فى زمن السلام ليكون السلم دائما وذلك بتنمية الذكاء ، ورعاية الفلسفة ، والفن ، والدين حتى اذا ما حلت ساعة الغضب أمكن للعقل وللانسانية الاحتفاظ بكرامتهما وعظمتهما

والطريق المضمون لمنع الحرب هوخضوع جميع شعوب الارض لحكومة عالمية واحدة ولكن هذا حلم لذيذ يستحيل أن يقع فى عالم الحقيقة كما يظن ولز نفسه وهو أكبر الدعاة للتقرب من هذا المثال البعيد المنال

ولكن هذا الكاتب المفكر يرى من بين الطرق الهامة لمنع الحرب القسوة فى معاملة الجماعات التى تقوم بها . فاذا كانت الحكومات فى سنة ١٩١٣ أعدمت الأفراد القلائل الذين كانت نيتهم للحرب واضحة لما وقعت الحرب العظمى ، والآن يوجد من أمثال هؤلاء كثيرون ولكننا لانجرؤ على العلاج الحاسم ونكتفى بعقد مؤتمرات السلام واقامة الصلوات

والعالمية لاتتحقق بالقوة والمدافع وانما تأتى كنتيجة لرقى البشرية بالتعلم وتفهم النفسية الانسانية وتنمية الذكاء . وعلى ذلك فالخطوة الاولى فى هذا السبيل هى تشجيع الوطنية حتى يرقى كل شعب ويصبح العالم مجموعة من الشعوب الراقية فهذا أفضل من جعل الارض عالما واحدا خاليا من سبل التطور ، ولاتعتبر أمة على وجه الارض متمدينة مالم تكن سائر الامم حولها متمدينة أيضا

أما المدعون بأن الحرب وسيلة للانتخاب الطبيعى لتنفيذ قانون بقاء الاصلح فيجب أن يعرفوا أن هذه الوسيلة لاتزيد على وسيلة مثلها هى الزلازل وكما أن هذه الاخيرة أصبحت طرازا قديما فهكذا يجب أن تصبح الحرب

(١٠) واجب التكوين الفلسفى

ليس من السهل أن نجعل الحكام فلاسفة ، ولكنه من واجبهم الميسور تحقيقه أن يفهموا

الفلسفة وأن يدخلوا فى نظام الحكم التغيرات الاساسية التى يمدنا بها فلاسفة العلم الحديث فى نظام العالم والحياة لانه ليس فى مقدور الفيلسوف أن يصل بآرائه الى الناس مباشرة . ولكنه من السهل جداً أن ينقلها اليهم رجل الحكم . وكثيرون من حكام اليوم يسلكون فى مراكزهم وفي حل المشكلات كما لو لم يكن قد حدث فى العالم أمور جوهرية أثرت فى مجتمعاته ، وكأن كل ماجد فى العالم هو بعض المخترعات التى تدر الاموال فحسب . أما كون العلم والفلسفة قد أوجدا قيما جديدة للحياة ، للاخلاق والاجتماع ، والسياسة فهذا مما لم يدركه بعض الحكام ومما لم يتصرف معظمهم تبعا له

والسؤال الدقيق الذى يحتاج الي توضيح تام فى هذا الصدد هو : ما أساس المقاييس الخلقية للجيل الماضى وللجيل الحاضر ؟ وماذا يجب أن تكون هذه المقاييس بالنسبة للمستقبل ؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول : إننا فى الجيل الحاضر نتبع نفس أساس الاجيال الماضية ، فيرضينا مثلا أن نعتبر جمهورية أفلاطون مثلا نموذجا للعالم مع أنها مثل معظم ماءمدنا به الفلسفة القديمة لاتصلح لحياة سعيدة مطلقا . فجمهورية أفلاطون لاتصلح إلا لمعيشة سادة قلائل ومعهم عبيد كثيرون

ولكن الواجب يقتضى بأن يكون للاجيال المستقبلة ، فلسفة اساسها الذكاء ، نسير بها نحو الديمقراطية السليمة التى توفر للناس السعادة الحقيقية لا الوهمية . ولاصحاب الشأن الحق فى عدم الاعتماد على الفلسفه لانها لم تكن لتعتمد على العلم ، وكانت بعيدة عن الحق قليلة الفائدة ، فى معظم الظروف ، وعندما نتحقق من صدق بعضها نجده لايصلح لا كثر من التسلية الذهنية

وواضح أن الفيلسوف لايصلح لأن يكون حاكما لعدم امكانه تدبير الامور المتعلقه بمرافق الحياة المتنوعة ولكنه يصلح لما هو اسمى من ذلك ، اذ انه يمدنا باختراعات اجتماعيه تيسر لنا الاستفادة بالمال والوقت وتهييء لنا السعادة التى ليست خبزا وزبدة فحسب

واذا كان لاولى الشأن حق فى اهمال الفلسفة القديمة فليس لهم عذر فى عدم الانتفاع بالفلسفة الحديثة التى تعتمد على العلم الحديث ، انهم يخشونها لانها تقصيهم عن كراسيهم ، وكذا لايؤمنون بذكاء الشبان الحديثين الذين يفكرون تفكيراً حراً

لقد خلق العلم للبشر كونا جديدا ، ولكن الكنيسة لم تخلق بعد دينا جديدا فهى مازالت تهدد بالجحيم كل الحريات الجريئة الذكية هذه الحريات التى أنتجت كل ما ينعم به الناس من رفاهيه (ورجال الدين من بين الناس طبعا)

انا كثيرا ملتكاف أنفسنا اقامة المبانى الفخمة ، ولكننا نضم فيها وعاظا لايعرفون اختيار الكلام المناسب لتقدم البشرية ، وفى نفس الوقت نبنى السجون للاحرار المفكرين . والواجب تشجيع المفكرين الصالحين على نشر مبادئهم ، والأخذ بتعاليمهم ، أما العقائد القديمة عقائد من ماتوا وهى لاتزال حية فيصبح التساهل فى جعلها باقية قابلة للانتشار

وطبعا لايمكن معرفة أي الفلسفات حق وأيها غير حق ، ولكن بوجه عام نقول إن كل فلسفة تبنى على الذكاء فيها الكثير من الحق والنفع ومثل هذه الفلسفات أفادتنا فى أمور كثيرة أهمها ما يلى :

(١) طريق المعرفة . اذ ليست الحواس هي أبواب المعرفة وانما سلوك الكائن الحيهو رد فعل أو استجابة لما يحدث فى الوسط المؤثر فيه

(٢) هذا التغير الذى طرأ على فهمنا لطريق المعرفة غير فهمنا لأمور كثيرة فأصبحت الحقائق المجردة كالمثل الافلاطونية الثابتة لا قيمة لها وانما الحقائق المادية المنتجة هى التى تستحق العناية

(٣) أصبحت الفلسفة تخدم المبادىء والاغراض الاجتماعية خدمة عملية بدل التعلق بأمور فى دنيا غير التى نعيش فعلا فيها

ولايعرف الحق إلا من كافح فى الحياة أما المؤمنون بالخلاص والفداء والعمل لعالم آخر، دون اختبارهذا العالم أوالكفاح فيه . فهؤلاء قد جهلوا الحق

ونيتشه الفيلسوف الالمانى يعتبر أشجع شخصية ظهرت منذ المسيح وهو يستحق كل تمجيد وذلك لأنه واجه الحياة ودرس بجراءة كل ما يتصل بها فسعى الى ادراك الحق بالمكافحة والمخاطرة

والفلسفة الطبيعية المادية تقول بأن كل ما يحدث فى الكون يحدث آليا حتى الحياة نفسها بدأت بهذه الصورة وتطورت حتى أخذت شكلها الحالى وخلق الانسان على هذا الاساس يكون أعظم حادثة طبيعية وغيرهذا من الافكار المادية ونحن لانتعرض لكونها حق أو باطل ، ولكننا ندرك أن القائلين بها ليسوا من مستشفى المجاذيب وانما هم من كبار العقلاء فيجب أن نستفيد بمثل هذه الفلسفة ولا نهملها اهمالا تاما لأنها تتعارض مع بعض الافكار الدينية ، ان مثل هذه الفلسفة فى امكاننا أن نتعلم منها الاعتماد على النفس لا على الملائكة والشياطين

ومما لايمكن تحديده كون التعاليم الروحانية أدت الى خلق الروح الادبية ، أو الى عكس ذلك ، ولـكن مما لاشك فيه أن بعض التعاليم اللامادية كالخلاص من الخطيئة دون عناء مناسب قد يؤدى بنا الى اهمال محاولة الخلاص الطبيعي . والعلم لايعرف غير السبب والنتيجة ويعلمنا أن الاهمال فى الشؤون الصحية والتعليمية حتما يؤدى الى الانحطاط والبقاء فى الخطية دون خلاص

وواجب الفيلسوف والمعلم أن يوضحا للناس سبيل العيش فى العالم الجديد الذى خلقه العلم الحديث فان لم يوفقا فى هذا فلابد أن ينهار صرح المدنية ، لابسبب الغباوة والجهل وانما للاعتقاد بأن جميع انتصارات الذكاء . العلم لم توفق فى اعطاء الانسان فكرة صادقة عن الحياة

نظرة اخلاقية : العادات العقلية للمستقبل

لاتنشأ متاعب البشرية من اختلال الميزانيات ولـكنها تنشأ من عمليات عقلية خاطئة ، واذا سارت الامور كما هى عليه فى هذا العصر عصر الـكهرباء والبارود فسوف تنسف المدنية مالم نسعفها بمخترعات اجتماعية غير مألوفة فى الوقت الحاضر لنقضى على اخطاء هذا العصر

وهذه العمليات الخاطئة يصح أن نسميها عادات لا شروراً لانها ليست من أنواع الشرور المألوفة لنا اذ أنها لاتصلح لان تـكون عنوانات فى رؤوس أعمدة الجرائد ، أو أسبابا للحكم فى نظر القضاة والمحلفين . ومنها :

١) قلة عدد الاذكياء وندرة تناسلهم مع أنهم مدبرو العالم

٢) زيادة عدد الغير القادرين على التفكير ، أومن يفتكرون فى أنفسهم أنهم مفكرون

٣) عدم رغبة الغير القادرين على التفكير فى تصديق المفكرين

٤) ندرة عدد الذين يعرفون بذكاء الحالات التى يلزمهم فيها أن يتركوا التفكير والتدبير لمن لهم خبرة كافية أى الاخصائيين

٥) كثرة من يظنون أنه يمكن اصلاح المجتمع بوسائل للجماهير فيحلون ألفاظا للمشاكل

٦) انتشار تجار لهم القدرة على الدعاية لبضائعهم الاجتماعية ، والروحية ، والاقتصادية ، والسياسية وغيرها من عصابات التأمين ، الى دعاة الديمقراطية والمسيحية (لا دين المسيح) والماركسية . كل هؤلاء وأمثالهم ينكرون عمليا فائدة الذكاء والتفكير الحر فى حل المشاكل الاجتماعية

٧) الذكاء والعلم لايسيران الحكومة وانما هى التى تهيمن عليهما

٨) الحكومة غالبا فى يد السياسيين مع أن كل مرفق من مرافق الحياة كالسياسة أو الفن أو الدين أو التعليم أو العمل أو الفلسفة أو الصحة يجب أن يكون فى يد اخصائي . ولهذه العادة مع سابقتها يعزى سبب عجز عصبة الامم عن خلق حكومة عالمية أو مايقرب من ذلك

٩) اخفاق التعليم كنتيجة للعوامل السابقة فى خلق نشىء مزود بمعرفة الحق الذي يحرر من العبودية

ليس فى مقدورنا أن نوجد فى كل معهد سقراط وسنيكا وباستير وهكسلى ونيتشه والمسيح وأمثالهم ممن لايختلفون عن الناس الا فى استقامة تفكيرهم ويندر وجود أمثالهم فى مظم الاجيال ، ولكن هذا لايمنع الآباء والمعلمين من تعليم النشىء روح هؤلاء الافذاذ

١٠) قلة عدد الطامعين لا فى المنافع وانما فى القيم ، لا فى المال وانما فى الحياة ، أمثال بوذا وسقراط والمسيح ودبوى وغيرهم والواجب أن نسعى للاكثار من أمثالهم واذا كانت اليوجنية تعجز عن ذلك كما هو حادث فيجب أن نسعى الى ملء العالم بمن لهم روح أمثال هؤلاء الممتازين

والآن ولكى يسهل تحقيق وصايا العلم العشر يلزمنا ثورة فى التعليم لافى وسائله وانما فى مناهجه فيجب اختيار مايناسب روح العصر من العلوم ، وان نتوخى الصدق والذكاء فى كل مايدرس ، وان نختار كل مايدفع المتعلم الي مواجهة الحق والحياة بجرأة لاتعرف الحياء المعطل للتقدم . ان ما يجرى الآن يعتبر مؤامرة سرية ضد الاطفال غايتها غشهم وعدم اعطائهم مايجب أن يعطى لهم ، وأن لاينجو من هذه المؤامرة الا النزر اليسير من الشبان الذين أسعدهم الحظ فى جامعاتهم باساتذة جريئين أو بوالدين لايخشون التفكير الحر فى كل مسائل الحياة

آمل أن تكون هذه الآراء قد سببت لنا آلاما شديدة . أى زودتنا بفكرة جديدة . لان أشد الآلام هى التى تنتج الافكار الجديدة

نظمى شحاته

الحياة تبدأ فى الخمسين

يدير قسم المحاضرات العامة فى الجامعه الامريكية بالقاهرة رجل فى نحو الخامسة والخمسين من عمره هو الدكتور كليلاند . ويذكر الذين اتصلوا بهذه المحاضرات انه كان غائبا طول السنة الماضية . وسبب غيابه انه قصد الى الولايات المتحدة وعاد طالبا فى احدى الجامعات وتقدم للامتحان ونال لقب « دكتور » فى السيكلوجية

وفى هذا الخبر عبرة لنا . فان كثيرين منا يموتون عند الاربعين وان كانوا لايدفنون الا بعد عشرين أو ثلاثين سنة . وذلك لاننا لانكاد نترك المدرسة حتى نودع النشاط الذهنى فلا نقرأ ولا ندرس . أو نحن نقرأ مايسلى ويلهى فقط . فلا تمضى علينا بضع سنوات حتى تكون أذهاننا قد ترهلت فلا تطيق البحث والدرس . وعندئذ نموت . ومن علامات الموت فى هذه السن اننا نسمن ونستكرش وننام بعد الظهر ونقرأ من المجلات ماتغنينا رؤية الصورة فيها عن القراءة . وفى هذه الحال نحب حياة الدعة والركون الى التقاليد ونكره كل من يهزنا الى النشاط والتفكير

ولكن الدكتور كليلاند رجل أمريكى يعيش فى أمة غير مثقلة بعبء التقاليد ويبدأ تاريخها بثورة . وهو لم يسمن قط ولاينام القيلولة ابدا ولذلك ينشط الى طلب العلم ويعود تلميذا وهو فى الخامسة والخمسين من عمره ويخضع لامتحان الجامعة وينال شهادة . وهو بهذا الدرس الدائم يجدد نفسه ويستبقى شباب ذهنه . فهو ابدا متطلع ينظر الى هذه الدنيا كما ينظر الطفل الى لعبته يحب أن يتعرفها ويستكنه أسرارها

اننا نجدد ملابسنا وأثاث بيتنا كل عام تقريبا . ولكننا لانكاد نجدد أذهاننا ولو مرة كل خمس سنوات . ولهذا السبب نجمد جمود الموت فلا نطيق رأيا جديدا . حتى عندمانفكر فى الثقافه نعود الى الرأى « القديم » الذى لايعكر صفاء موتنا

ومن الكتب الحديثة كتاب لامريكى يدعى « الحياة تبدأ فى الاربعين » والمؤلف سيكلوجى أمريكى يدعى الدكتور بتكن . وهناك كتاب آخر يدعى « الحياة تبدأ فى الخمسين » لمؤلف انجليزى يدعى المستر كاسون . والمؤلفان يتسابقان فى ارشاد القارىء المسن عن الوسائل التى يمكنه أن يجدد بها شبابه الذهنى . ومتى احتفظ الانسان بشبابه الذهنى فانه لايحس الكهولة أو الشيخوخة ولن يصدق انه سيموت الا عند مايوضع فى القبر

ولكنا نحن نموت قبل أن ندفن بنحو ٢٠ أو ٣٠ سنة

س . م

السبرمانه

لو أتيح للقرد أن يتخيل الرقى النوعى لرأى أنه يشمل الجسد ولا يتناول الذهن ، فالرقيّ عنده كان يكون لاشك زيادة عظمى فى القوة وضخامة هائلة فى الاعضاء وإبعاداً فى الوثب . ولكن الانسان الذي يتمثل فيه الرقيّ قد جاء وليس فيه شيء من ذلك فهو بالقياس الى القرد دقيق الاعضاء هادىء وقور جميل بطيء الحركة كثير التفكير كبير الرأس واضح الملامح والقسمات حاد النظر . فهو يخالفه كل المخالفة لامن حيث قوة البدن بل من حيث شدة الوعى وحدة الذهن . ومن أجل ذلك يمكن القول بأن تصور الانسان للرقى المنتظر فيه مشابه من تصور القرد لهذا الرقى الحاضر . فهو كما عند القرد فى قوة الجسد أيضا وفى العلوم الرياضية التى تتعلق بالجسد من قدرة على الطيران الى نبوغ فى الاختراعات المادية والكيمياء الى تفوق فى الهندسة والطب . وهو تصور خاطىء ولا ريب . فهذه الآلات والمركبات التى يتوقعها الانسان هى من لوازم الجسد وليس لها أدنى اتصال بالطباع ولا المزايا والمواهب التى هى سبيل الطبيعة الى التسامى والكمال . لأن تقدم الأنواع يأتى من تنمية المدارك لامن تغذية الشهوات وهو يتجه الى خلق السجايا والسمات النفسانية لاخلق النزعات والدوافع الجسمانية

فالرقى النوعى لايبدو فى الألياف والعضل ولكنه ينتظم المجموع العصبي وحده . فقادة البشرية الذين وصلوا بها الى هذا المستوى لم يكونوا من المصارعين ولا من المحاربين ولم يكونوا من أهل الاختراعات والعلوم الرياضية ولكنهم كانوا فلاسفة ومشرعين وأنبياء وأدباء . ولقد كان القرد أقوى وأنشط من الانسان وربما كان يتصور — لو تصور — ان الانسان يكون أقوى وأنشط منه . فلما ظهر الانسان اذا به ذلك الرزين الساكن المتأمل . وإذ جاء دور الانسان وجدناه يتخيل ابن المستقبل على الطريقة عينها فالمستقبل عنده أبنية وأجهزة وضوضاء تملأ الأرض والسماء . وعندي ان الانسان زائغ النظر منحرف التصور لأن ابن المستقبل سيكون هائل الرأس . والرأس موضع الادراك والوحى لاموضع المطامع والشهوات ويكون جميلا جداً نير الطلعة براق العينين أخاذاً ممشوق القوام لين المفاصل والاوصال نقى الجسد واضح القسمات نفاذ النظر لايتكلم أبداً بلسانه لأن نطقه سيخرج من رأسه بقوة حية يكون لها ذبذبة وتردد فى الأثير . لايفخر بملبس أو مأكل اذ يعيش عارىء الجسد معدم اليد لايملك شيئا لأن ثروته فى رأسه فله كل شيء ويكون عيوفا قليل الأكل لايأكل إلا فاكهة سينشئها هو بالتوليد من هذه الفاكهة ويسيطر على الانسان

بقوة حقيقية هادئة حكيمة هي أشبه شيء بالسحر تخرج من رأسه وعينيه فتغير الأوضاع والمعالم كلها . وهو ينظر إلى هذا التنازع المادي والى آلة الحرب المحشودة اليوم فى العالم كما ننظر نحن الآن الى المخلب والناب ويرى هذه المظاهر وما فيها من بذخ ودعوى كما ننظر نحن الى ريش الدندي والطاوس . ويرى من آثار الفنون الجميلة فقراً وعدما فى التصور وجمال النفس ينبيء عن همجية بائدة وتوحش زائل لأن الفن الصحيح عنده جانب من النفس كبير لايلجيء صاحبه لكى يشعر به أن يعكسه على الحيطان والأحجار وسيرى فى اختراع الانسان الآلات نكوبا منه عن سواء الطبع

وانحرافا مهلكا له مخسرا لموازين الأقدار والكفايات لأن هذه الآلات عرضة لان توضع فى يد الناقص فيتهضم بها حق الفاضل وبذلك ينهدم نظام الانسان من أساسه فتكون نكسة فى نوعه لايعلم أحد كيف تكون عقباها . وهذه العلوم التى نقطع أعمارنا فى تفهمها وحفظها ونحظى لاجلها بالبراآت والمراتب هى عنده من البديهيات بل هى جزء قليل جداً من مواهبه اللدنية التى تتم له مع الطفولة ولايحتاج فى اكتسابها الى تفهيم معلم أو تحفيظ ملقن . وعلومه تتوفر على الاصغاء لوحى النفس والاخلاد السعيد الى صفائها وهذه مرتبة الالوهية . لانه مستكمل الخلق مكفى شر البطن مقموع الشهوة الجسمانية . ورياضته سياحات فلكية بين اجرام الوجود وأشخاصه النيرة الثاقبة إذ هو متصل بالقوة التى تربط اجزاء الوجود بعضها بالبعض فيستخدمها فى حله وترحاله ويذهب بها الى أى مكان يشاء وهو بها مستطيع أن يرى ويسمع ويعرف الاشياء البعيدة القاصية التى لايعرف الانسان بعلومه ومداركه شيئا عنها ولا يعلم طرفا منها

وأول مايظهر يكون معتل الصحة شيئا ما لانه ينشأ فى غير بيئته ويدرج على غير طبيعته ويكون محتقراً من الناس منبوذا مهزوءا به منهم لانقطاعه عنهم وتوفره على غير شؤونهم ودواعى تخرجهم وانصرافه عن معاشرتهم وملابستهم وسيرتابون فيه لانفراده بشكله وغرابته فى مسلكه فيكون الاستهزاء والسخر فالحسد فالايذاء من جانبهم يقابله السكون والصبر والمصانعة من جانبه حتى يتكاثر نوعه ويتوطد أساسه ثم تكون دهشة فيها جلاء الشك وتسير الامور كما قدر لها لان التطور لايقف ولا ينتهى عند حد

حبيب عوض الفيومى

قريتنا الكبرى

للاستاذ نقولا يوسف

هذا اسم أطلقه ولو على كرتنا الارضية التى ندعوها بالدنيا ، وكنا الى عهد غير بعيد بل مازلنا نتغنى بعظمها واتساعها ، وتذهب بعض المخيلات بلا نهايتها

غير أن تطور العلوم وتوالى المكتشفات وتقدم المواصلات قد انزلت هذا الكوكب الارضى عن عرشه القديم واذا به قرية كبري تسكنها قبيلة واحدة من الارضيين الذين سيحملهم ارتقاء العلوم على الاتصال يوما بالقبائل الاخري الساكنة فى المريخ وغيره من الكواكب

وهكذا لم تعد أرضنا تلك الدنيا الهائلة الغير المحدودة والتى حيرت مخيلات الاقدمين ، وهى بالطبع لم تصغر فى الجرم أو تنكمش فى الحجم فى هذه القرون الاخيرة وانما نحن الذين كبرنا أى ازدادت معارفنا وزالت بعض الغشاوة عن عيوننا فبدت لنا هذه الكرة من عليائنا صغيرة ونحن كلما ارتقينا اقتربنا من الحقائق

كان الناس فى القديم ولم تزل بعض القبائل المنحطة الى اليوم تذهب فى أمر هذه الكرة الارضية شتى المذاهب المبنية على الحدس والتخمين . وخلاصة هذه المذاهب أن هذه الارض هى كما تراها العين قرص مسطح منبسط تعلوه قبة أو سقف من المعدن الازرق أو من مادة أخرى ، وهذه القبة تتصل بالارض عند اطرافها ويتسلقها قرص الشمس كل صباح!

غير أن اجماع الناس فى القديم على هذه الآراء حتى امتزجت بالأديان وسارت مع مدنيات الشعوب لم يمنع نفراً من الاذكياء منذ نحو خمسة وعشرين قرنا عن ادراك كروية الأرض ودورانها . ففى القرن السادس قبل الميلاد قال فيثاغورس ومن بعده فيلولاوس أن الارض والسيارات تدور حول نار مركزية . وكان افلاطون وأرسطو يعتقدان بكروية الارض ثم جاء ارسطارخس فقرر هذه الحقائق ، وظهر بالاسكندرية العالم اراتوسثينس الذى مات عام ١٤٩ ق.م فألف كتابا قاس فيه محيط الارض وقطرها بما يقرب من أقيستنا الحديثة

ولكن اذا استثنينا هذا النفر من فلاسفة اليونان والاسكندرية فان الناس منذ فجر التاريخ حتى القرن السادس عشر للميلاد كانوا على وجه عام مجمعين على ثبوت الارض ودوران

الشمس حولها مرة كل يوم ، بل لقد رموا كل قائل بغير ذلك بالكفر أو الجنون ولم يترددوا فى محا كتبه أو احراقه حيا

ومنذ بضعة الوف من السنين كانت المخيلة المصرية العجيبة قد كست كمادتها تلك الآراء فى مسألة الارض والسماء بثوب شعرى غريب مالبث أن صار عقيدة دينية اختلفت بتباين العصور والبلدان . أما الكهنة فكانوا يستترون علومهم عن العامة لأسباب عدة . فهذا اعتقاد بان الارض منبسطة مستطيلة تبدأ حيث يبدأ النيل من المحيط اللانهائي الواقع فى الجنوب وتنتهى حيث يصب النيل فى الشمال . أما السماء فقبة من المعدن الازرق الصافى تحملها عمد أو جبال عالية قائمة فى جهات الارض الأربع . وفوق هذا السقف مياه متلاطمة تنساب على الارض مطرا اذا فتحت نوافذه . أما النجوم فمصابيح صغيرة مدلاة فى السطح الاسفل لهذه القبة .. ويجرى حول هذه الدنيا نهر سماوى عظيم يسير فيه قارب يحمل قرص الشمس من الشرق وينحدر به نحو عالم الظلمة فلا تراها العيون. فاذا غابت الشمس أقبل القمر سابحا فى قاربه تحرسه عينان خوفا من ذلك العدو الهائل الذى يهاجمه حين يكتمل بدرا فيشطر منه جزءا يلقيه فى النهر السماوى

وتصور آخرون أن القبة السماوية التى تظل الأرض أشبه ببقرة كبيرة رأسها فى الغرب ووادى النيل بين ارجلها والنجوم زينة يتحلى بها بطنها : وزعم غيرهم ان السماء على شكل امرأة منحنية ، رأسها فى الغرب وقدماها فى الشرق ، والنجوم تزين صدرها أما تحت الأرض فالعالم السفلى الذى تنحدر الشمس الى ظلماته ويذهب الميت بعد وفاته

وظهر فى النقوش الاشورية القديمة مايمثل الاله مردوخ وقد بدأ يخلق السموات والارض . أما الأرض فيحيط بها لج عظيم من الماء وفى جوفها وادى الموت ومن فوقها قبة السماء القائمة على دعائم وفوق تلك القبة بحر متلاطم من الماء تملوه السموات العليا وفى شرق هذه القبة باب تدخل منه الشمس صباحا وفى غربها باب آخر تخرج منه عند المساء .. وفى هذا الخيال الاشوري أثر مصرى لابد أنه انتقل اليهم كما انتقل إلى غيرهم من الشعوب القديمة لاسيما العبرانيون الذين ورثوا عنهم آراءهم فى الارض والسماء وغيرها من العقائد والطقوس والآداب . وكانت كتب العبرانيين السبب الأكبر فى تعصب لاهوتى أوربا فى القرون الوسطى لتلك النظريات واضطهادهم لكل من قال بدوران الارض حول الشمس أو حول نفسها

وهناك فى الهند ظهر اعتقاد بان الأرض قائمة على ظهر سلحفاة ، وهناك رأي بعض البراهمة أن الارض زهرة من أزهار النيلوفر طافية على سطح الماء

وشاع بين العامة أن الأرض محمولة على قرن ثور . وقال آخرون إنها طافية على وجه الماء ،

واعتقد لاهوتيو القرون الاول للميلاد انها سهل منبسط محوط باربع جدران تعلوها قبة صلبة. ورأي ابن الاثير فى اخوان الصفا . « ان الارض نصفها مغطى بالبحر المحيط والنصف الآخر مكشوف مثلها مثل بيضة غائصة نصفها فى الماء والنصف الآخر ناقىء من الماء » وتبعه ابن خلدون الذى توفى عام ١٤٠٦ فقال فى مقدمته « ان شكل الارض كروي وانها محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه »

وكان أسلافنا الى عهد غير بعيد يزعمون أن هذه الأرض هى مركز الكون وأن الله قد شرفها عن سائر الكواكب والنجوم وأسكن فيها الانسان سيد المخلوقات . فكان الفضاء فى رأيهم دائرة عظمى مركزها الارض ، وحول هذا المركز تدور الشمس والسيارات والنجوم والعوالم كلها . وان أهل الأرض هم سادة الكون الذين خلقت الشمس لخدمتهم نهاراً والقمر والنجوم لتضىء لهم فى الليل كما أن الحيوان والنبات وكل المخلوقات لم تكن إلا لمنفعتهم الخاصة

وكان بطليموس العالم اليونانى الذى نشأ بالاسكندرية بين سنة ١٠٠ و ١٧٠ للميلاد قد تحقق أن الأرض كرة معلقة فى الفضاء لكنه زعم أن الارض مركز ثابت يدور حوله القمر والشمس والسيارات والنجوم والثوابت وكلها تدور حول الارض دورة كاملة كل يوم من الشرق الى الغرب كما تراها العين

ولما جاء دور العرب نقلوا كتاب بطليموس الى العربية واشتغل بعض علمائهم بالفلك لم يخرجوا عن رأي بطليموس وبقوا معتقدين كغيرهم أن الأرض مركز تدور حوله الشمس والسيارات. وذكر أبو الفداء فى جغرافيته « ان الأرض كروية وانها فى الوسط »

وظلت نظرية بطليموس شائعة يؤمن بها أهل الشرق والغرب نحو خمسة عشر قرنا ، وكانت كلما زادت قدما زادت قداسة وزاد بها رجال الدين تشبثا لا سيما ان العين تؤيدها وكتب العبرانيين تشير اليها . وأصبح مركز الأرض ونظام الكون كما ذكرها بطليموس مسألة لا تقبل التعديل. وأصبح نقدها كفر وهرطقة !

وهنا تكتظ صفحات التاريخ بعدد لا يحصى من الكتب والمقالات فى تأييد هذا الرأى وما يتفرع عنه ، وبالمجادلات والمناقشات والمحاكمات التى قامت بسببه ثم راجت فى القرون الأولى للميلاد كما راجت فى القرون الوسطى أخيلة فكرية لاهوتية مختلفة منها أن أرضنا كرة تتوسط الكون لأن الكون لم يخلق الا من أجل الانسان، ولم يخلق الانسان الا لخدمة الله ، ومن تحت هذه الأرض تقوم جهنم مسكن الشياطين ، ويحيط بالأرض أفلاك كروية شفافة تديرها الملائكة وفى كل فلك جرم من أجرام السماء ووراء تلك الأفلاك يستوى العرش الالهى . . الى غير ذلك من الأخيلة التى كان ينشرها الكتاب ويسهبون فيها !

ولما جاء كوبرنيكوس وقال بحركة الأرض حول محورها من الغرب الى الشرق وبدورتها مع السيارات حول الشمس لم يجرؤ على نشر رأيه خشية الاضطهاد والمحاكمة فأخفاه ستاً وثلاثين سنة حتى وجد من يطبع كتابه سنة ١٤٥٣ ويعتذر له فى مقدمته أنه مجرد فرض لاحقيقة. ورأى كتابه مطبوعا وهو فى فراش الموت

ولكن رأى كوبرنيكوس الذى يعده أطفال اليوم بديهية لقى من رجال الدين ومن رجال العلم أشد المقاومة وأنزلت اللعنات على كوبرنيكوس بعد موته ثم على كبلر وجاليل وكل من قال بدوران الأرض . أما اضطهاد جاليل ومحاكمته أمام محكمة التفتيش فمشهورة

ثم انتقل النقاش من موضوع الأرض ودورانها الى مسألة « الانتيبود » أو وجود سكان فى الجهة المقابلة من الأرض ما دامت كروية ، وهل يمكن الوصول الى الهند اذا سار الانسان غرباً. فقبل كولمبوس أي منذ أربعة قرون فقط كان الناس يزعمون أن دنياهم تنتهى بالحدود التى يعرفونها ولم تكن الأمريكتان ولا أستراليا ولا القطبان ولا جهات أخرى فسيحة قد كشف عنها . وكانت معرفتهم بوصف الأرض لا سيما حجمها محدودة غريبة وكانت سبل المواصلات عاجزة ساذجة . وكانت أوربا قبل كشف الأمريكتين لا تعلم عما وراء المحيط الاطلنطى غير ما صوره لها الخيال والوهم فهناك بحار مخيفة ملأى بالتيارات والدوامات والأمواج . وهناك أراض مظلمة مكتظة بالجن والوحوش . وهناك فى المحيط الاطلنطى على مسافة غير معروفة باب جهنم تنعكس منه نارها الهائلة على الشمس فتكسوها حمرة قبل الغروب

فاذا سار الانسان جنوبا فى بحر الظلمات صادف نطاقا لا يمكن اجتيازه من نار خط الاستواء أما وسط افريقيا أو القارة السوداء ففيه أعجب المخلوقات والوحوش ولا يمكن لانسان أن يصل اليه . بل منذ مائة سنة كانت افريقية على الخارطة بقعة سوداء مجهولة تحفها أجزاء بيضاء ضيقة هى الشواطىء التى وصلت اليها بعض السفن

وفى سنة ١٤٩٢ وصل خرستوف كولمبوس الى شواطىء الامريكتين، ومنذ ذلك الحين بدأ الناس يعلمون بوجود الدنيا الجديدة ويهرعون الى النصف المجهول من كرة الأرض

وفى القرن الخامس عشر أيضا شرع البرتغاليون وغيرهم يكتشفون سواحل أفريقيا ويطوفون حولها رغبة منهم فى الوصول إلى الهند والشرق الأقصى بغير طريق السويس . وقد أثبت فاسكودى جاما فى طوافه حول افريقيا بقصد الهند ان افريقيا لا تتصل فى الجنوب بالقارة المجهولة التى أشار اليها بطليموس

ومع كل هذا فان القسم المعروف من اليابسة كان فى سنة ١٨٠٠ لا يزيد على خمس اليابسة

كلها . وفى القرن التاسع عشر كان لفنجستون وستانلى وبيكر وسبيك وغيرهم قد كشفوا المجاهل الافريقية ولم تأت سنة ١٩٠٠ حتى كان المكتشف من اليابسة عشرة أجزاء من أحد عشر جزءاً تقريبا

ثم أخذ الرواد يكتشفون مجاهل برازيل وأواسط آسيا وراد امندسن ثم بيرد القطب الشمالى وطار بيرد إلى القطب الجنوبى وغاص بيب إلى ربع ميل تحت سطح البحر وصعد بيكار لا كتشاف الفضاء . ولم يعد فى قريتنا الكبيرة اليوم ما نجهل أمره ولو أن هناك ألوف الأسرار الكافية فى الطبيعة مما لم نكشف عنه بعد

ويدلنا هذا المجمل الضئيل أننا عرفنا اليوم عن قريتنا أكثر مما كان يعرفه أسلافنا إلا أن قصة أرضنا أو تاريخ حياتها لم يزل غير معروف تماما على الرغم من تقدم العلوم وما زال عمر الأرض وأصلها فى دور التخمين . وما يصل اليه علمنا اليوم أن هذه الأرض لم تكن كما نراها اليوم . ولكن يقول بعض العلماء أن الأرض قد صار لها وجود مستقل كسيارة تدور حول نفسها وحول الشمس منذ مدة تزيد كثيراً على ألفى مليون سنة فى كون أزلى لا عمر له اما قبل هذا الوقت الذى يفوق خيالنا فيرجح العلماء ان الأرض والشمس وبقية السيارات التى تدور حول الشمس كانت دوامة هائلة من مادة مبعثرة فى الفضاء أشبه بتلك السدم التى نراها بالمنظار كأنها سحب مضيئة فى عرض الفضاء. ثم تميزت الأرض وقمرها وكانت تدور حول نفسها وحول شمسها أسرع مما تدور الآن كما كانت اقرب الى الشمس منها الآن . وكانت الشمس أعظم ضوءاً وكان القمر يسرع كشعلة مضيئة

أى ان هذه الكرة التى نسكنها كانت يوما قطعة من الشمس وكانت فى أول أمرها كرة نارية سائلة أشبه بتنور مشتعل تغلى فيه مادة صخرية ذائبة وتتصاعد منه أبخرة المعادن والمواد الكبريتية ـ ونحن اذا حللنا اليوم الطيف الشمسى لضوء الشمس لرأينا ان جميع العناصر الموجودة فى الشمس موجودة كلها بالأرض

وتعاقبت مليون سنة بعد مليون سنة أخرى حين أخذت هذه الكتلة النارية الدائرة تبرد ببطء وأخذت الغازات تتحول الى سوائل والأبخرة تتكاثف وتصير بحارا ومحيطات ذات ماء عذب ، وكانت قطع الصخور تتجمد وتظهر على وجه البحار ثم تغوص . وأخذ سطح الأرض يبرد ولكن باطنها ما برح حتى اليوم شديد الحرارة ولا يعرف كنهه ، وربما وصلت حرارة الباطن إلى ١٥٠٠ درجة على عمق ٢٨ ميلا

ثم أخذت القشرة الارضية تتكمش كما يحدث لقشرة التفاحة حين تجف فظهرت بها نتوءات نسميها جبالا وهضابا .ومنخفضات نسميها محيطات وبحارا .الا أن هذه الجبال والمحيطات هى بالنسبة

الى حجم الارض بمثابة خدوش لا تذكر . ولا تبلغ أعلى قمم أرضنا مثل مثل افرست خمسة أميال ونصف ميل بينما تعلو بعض جبال القمر أكثر من ذلك بكثير

وهذه القشرة هى التى تمثل عليها درامة الحياة وعليها نشيد مدننا ونزرع حقولنا وفيها نحفر مناجمنا ، وعليها نتنازع على البقاء ونتقاتل لنستولى على أوسع ما نستطيعه منها وهذه الحياة لا تتغلغل الى أكثر من ثلاثة أميال من الاربعة آلاف ميل التى تفصلنا عن مركز الكرة ، ولا تعلوا كثر من خمسة اميال فوق سطحها حيث لا يستطيع طير او حشرة ان تعيش ولا تعلو الطائرات اليوم اكثر من اربعة اميال ولم تصل بعض البالونات الا الى سبعة أميال . . وهذه القشرة لا تتجاوز فى سمكها ٢٨ ميلا ومثلها مثل قشرة البيضة للبيضة نفسها . . وتتركب القشرة من نحو ٧٨ مادة من العناصر الكيماوية من معادن وغازات وهى مركبة من صخور مختلفة الأنواع والأعمار تترا كم طبقاتها بعضها فوق بعض

وكانت الحياة الاولى قد ظهرت منذ ملايين السنين فى السواحل الضحلة وكان دبيبها فى الجماد ولم يزل سراً غامضاً . ويقص علماء التطور كيف ظهرت الخلية الحية الاولى على شكل الاموبه او نحوها وكيف ارتقى الانسان وتطور الى ان وصل الى حالته الراهنة وما زال التطور يعمل ليصل بالانسان الى درجة عليا من سلم الارتقاء

وخلاصة ما نعلمه اليوم عن قريتنا الكبرى انها كروية الشكل مفرطحة عند القطبين كالبرتقالة قطرها يقرب من ثمانية آلاف ميل اى قطر الشمس اكبر من قطر ارضنا ١١٠ مرة. ومحيط الارض ٢٤ الف ميل وهى تدور بنا فى فضاء مظلم صامت حول نفسهـا من الغرب الى الشرق مرة كل يوم اى اننا نتحرك معها بمعدل الف ميل فى الساعة او ١٦ ميلا فى الدقيقة . وهى تدور بنا حول الشمس فى مدار بيضاوى متغير يبلغ محيطه نحو ٥٨٠ مليون ميل فنحن نسافر معها حول الشمس ونتمم معها دورة كل سنة ومعدل سرعتنا معها نحو الف ميل فى الدقيقة وتتبدل علينا بسبب هذه الدورة اربعة فصول مختلفة

هذه الكرة التى نسكنها ان هى الا سيارة صغيرة تائهة فى محيط لا نهائى نثرت فيه ربوات النجوم والشموس الاقمار والسيارات والمذنبات والسدم كما تنثر ذرات الرمال على شواطىء المحيطات. وحجم شمسنا اكبر من حجم الارض بمليون و ٣٣١ الف مرة اى لو قسمت الشمس الى كرات كل كرة منها بحجم ارضنا لتكون منها مليون و ٣٣١ الف كرة ارضية . وجرم الشمس اي مادتها اكبر من مجموع اجرام كل السيارات والاقمار التى تدور حولها بنحو سبعمائة مرة . ونحن نبعد عن هذه الشمس بنحو ٩٣ مليون ميل فاذا فرضنا ان طائرة تسير بسرعة مائة ميل فى الساعة خرجت من الارض فى

رحلة الى الشمس وظلت تطير بلا توقف فانها لا تصل الى الشمس فى اقل من مائة سنة وست سنوات ولا تصل الى السيار نبتون بهذه السرعة الا بعد ٣١٨٦ سنة وتصل الى نجم الفا أقرب النجوم الثوابت الينا فى ٢٥ مليون سنة . وهذه الشمس العظيمة التى يبهرنا نورها وعظمها والتى هى مصدر حياتنا ومحور نظامنا السيارى ما هى الا نقطة صغيرة على شواطىء هذا العالم الفسيح . فقد تمكن الفلكيون حتى اليوم على قول احدهم من رؤية مليارين من الشموس وكلها اكبر حجما من شمسنا وكل منها مركز لعالم آخر مكون من عدد لا يحصى من الكواكب والنجوم والاجرام الصغيرة والكبيرة وقد استطاع العلماء من حصر عدد عظيم من العوالم يبلغ المليون تقريبا فى كل واحد منها شموس وكواكب ونجوم . وشمسنا تسير بنا ومعها الكواكب والارض بسرعة عشرين كيلو مترا فى الثانية نحو نقطة معينة فى الفضاء اللانهائى

ولقريبتنا هذه ضاحية يحاول العلماء اليوم الوصول اليها بالصاروخ أو نحوه ، وهذه الضاحية هى القمر الذي يدور حولنا ١٢ مرة فى السنة ويبدو لنا فى أوجه مختلفة كل شهر وهو لا يبعد عنا اكثر من ٢٣٩ الف ميل ويؤدى لنا خدمات هامة فهو يعكس نور الشمس كالمرآة لينير لنا السبيل فى الليل وهو يساعد فى حدوث المد والجزر وهو يلهم الشعراء بجماله . ونحن لنا قمر واحد أما المريخ فله قمران وللمشترى أربعة ولزحل أكثر من ثمانية أقمار

يقول ولز « اذا مثلنا أرضنا بكرة صغيرة قطرها بوصة فان الشمس على هذه النسبة تكون كرة قطرها تسعه اقدام وتبعد عنا ٣٢٣ ياردة أى خمس ميل نقطعه مشيا فى خمس دقائق ويكون القمر على هذا القياس حمصة تبعد عنا قدمين ونصف ثم نجد بين الارض والشمس سيارتين هما عطارد والزهرة على مسافة ١٢٥ و ٢٥٠ ياردة من الشمس وحول هذه الاجسام يكون فراغ حتى تصل الى المريخ على مسافة ١٧٥ قدما من الارض ثم نلتقى المشترى وقطره قدم ويبعد عنها نحو ميل ثم زحل على بعد ميلين ثم اورانوس على بعد أربعة أميال ثم نبتون على مسافة ستة أميال ويلى ذلك فراغ لا يخلو من سيارات حتى نصادف أقرب النجوم الى الارض فيكون على هذا القياس الفرضى على بعد اربعين الف ميل منا »

فى عام ١٥١٩ أى منذ أربعة قرون فقط خرج ماجلان من اسبانيا ومعه خمس مراكب شراعية ليطوف حول الارض لأول مرة فى تاريخ البشر ، فعبر المحيط الاطلنطى ودار حول امريكا الجنوبية ودخل المحيط الهادى ومات فى الطريق تخلفة من اكمل الرحلة فى ثلاث سنوات ولم يبق من السفن الخمسة غير مركب واحد ومن الرجال غير ثمانية عشر رجلا من مائتين وسبعة وثلاثين . واثبتت هذه الرحلة أن الأرض كروية وأنها اكبر مما كان يظن الناس يومئذ

وفى عام ١٨٨٩ طافت فتاة امريكية تدعى تللى بلاي حول العالم فى ٧٢ يوما بالسكك الحديدية والسفن البخارية وفى السنة التالية قام بمثل هذه الرحلة من اتم طوافه فى ٦٨ يوما

وفى عام ١٩٠٧ طاف رحالة انجليزى حول الأرض فى اربعين يوما وبعد اربع سنين قام رحالة فرنسى بهذا الطواف فى ٣٩ يوما

وجاء دور الطيران وأصبحت الأرض بعده اصغر مما كانت وفى ٩ ١٩٢ طاض البالون زبلن حول العالم وأنجز رحلته فى ٢١ يوما فقط

وفى ١٩٣١ قام الطياران بوست وجاتى برحلة حول الارض فى طيارة خاصة فأتماها فى ثمانية أيام وخمس عشرة ساعة . وبعد سنتين سافر ويلى بوست وحده وانجز الرحلة حول العالم فى سبعة ايام وثمانى عشرة ساعة

ويستطيع اليوم اى انسان ان يتم رحلته حول كرتنا الأرضية فى ثلاثة اسابيع إذا سافر مع غيره من المسافرين فى البواخر والطائرات

وفى نوفمبر ١٩٣٦ قطعت الطائرة المائية كانوبوس المسافة من ايطاليا الى الاسكندرية فى سبع ساعات ونزلت فى اثناء رحلتها مرتين ، وفى كل يوم تقطع احدي طائرات شركة هولندية المسافة بين امستردام والقاهرة فى يوم واحد

وسيتقدم العلم وسنسير الى الأمام وما زالت قريتنا الكبرى تصغر ، ونحن اليوم نسمع فى القاهرة محاضرة من امريكا أو من الصين فى اللحظة التى تلقى بها وبعد قليل سنري بواسطة التليفيزيون بالقاهرة صورة ذلك المحاضر فى امريكا وهو يتحدث

مثل هذه المعلومات الجلة التى يجدها اليوم أبناؤ نا مفصلة فى مختلف الكتب الحديثة تعيننا على فهم مركز قريتنا بين العوالم الاخرى ، وتبعد انظارنا المحصورة بين البيئات الضيقة إلى آفاق اوسع فعلى الأرض ملايين من البشر لايرفعون ابصارهم عن تراب الارض ولا يعرفون منها غير بلد واحد صغير يولدون فيه ويعيشون ويموتون ، وعلى الارض ملايين الناس لايعترفون بوطن غير وطنهم ولا بلغة غير لغتهم ولا بدين غير دينهم لأن عقلياتهم الضيقة المحدودة لاتعينهم على التطلع إلى ماوراء بيئتهم الصغيرة ، وتلك النظرة العاجلة الشاملة تعلمنا ان هذه القرية كلها وطن واحد صغير لشعب واحد هو اهل الأرض يجب ان تتعاون امه وتتحد وتشترك معا فى هذا الميراث الشامل لكى تساعدها الوحدة العالمية وما وراءها من اخاء وتعاون وسلام وصفاء وفراغ على اكتشاف الكثير الباقى من مخبآت الوجود واسرار الحياة ولكى نتمكن يوما من الاتصال بالقبائل الاخرى الساكنة مثلنا فى الكواكب وسيارات تدور حول شموسها

شخصية المرأة

يمكن أن نصف التقاليد الشرقيـة بأنها مؤامرة على استعباد المرأة وحبسها فى البيوت ومحو شخصيتها . فقد قال المستركو الصينى ان المرأة فى الصين لم تكن تسمى باسمها بل كان يقال عند الاشارة اليها « الشخص الذي فى البيت » بل هى عند ماتموت لايذكر اسمها فى النعى . والاسم هو أول خواص الشخصية . فالغاؤنا اسمها هو الغاء شخصيتها أو هو دليل الكراهة للاعتراف بها

ويمكن أن نقول ان المرأة عند المتوحشين تمتاز على المرأة عند الامم الشرقية المتمدنة . فان تلك تستوى بالرجل فى احيان كثيرة وتعمل معه فى مكافحة الطبيعة والاعداء . أما هذه فمصونة فى حرم خاص بالبيت . وهذا الحرم يحبسها عن الدنيا ويحصر تفكيرها فى شئون المطبخ وتنظيف الغرف اذاكانت فقيرة ليس لها من يخدمها . أما اذا كانت متوسطة أو غنية فانها تقضى فراغها فى ادمان التفكير فى الشئون الجنسية

وقصر المرأة على البيت يمحو شخصيتها . فان الذى يكون الشخصية فى الرجل هو العمل اليومى الذى يتصل بالدنيا من تجارة أو صناعة أو معاملة وذلك أن الاحتكاك المتصل بالناس والاختبارات المتوالية من هزائم أو انتصارات والتوسع الذهنى الذى تثمره هذه الاختبارات ـ كل هذه تنتهى الى تكوين شخصية فى الرجل الذى يعرف أن عليه واجبات وان له حقوقا فتتكون له آراء فى شئون هذه الدنيا بحيث اننا عند ما نناقشه نشعر بعد دقائق أن له كيانا فكريا منسجما نستطيع ان نحبه أو نكرهه من أجله . ولكنا لانستطيع أن ننكر ان له كيانا غير مهرجرج ولا مزعزع

ولكن المرأة ليس لها هذا الكيان أى ليس لها شخصية . فانها كانت ولاتزال ـ الى حد ما ـ تحبس فى البيوت فى الصين والهند والاقطار العربيـة . وكانت تحرم من الحقوق الاقتصادية فى الميراث والعمل الحر والشئون العامة أو تنقص هذه الحقوق ثم يقصر نشاطها على المنزل . وقضت التقاليد بان تؤكد أنوثتها فوق انسانيتها . حتى كان الصينيون يضعون قدميها فى حذاء من خشب أو حديد حتى تقفا عن النمو . وذلك تأكيداً لانوثتها وانها لاتبرح السرير . وآدابنا العربيـة القديمة تصفها بأنها مكسال ناعسة العين نؤوم الضحى . اى ان المرأة الحسنة فى الآداب العربية ليست هى المرأة النشيطة المقدامة المفكرة العاملة بل هى الكسول الناعسة التى تتأخر فى النوم الى الضحى

ولكن الثقافة الحديثة قد أعطت المرأة حق تقرير مصيرها بل هى تطالبها بان لايقتصر نشاطها على المنزل كما تطالبها باحتقار البراعة فى الشئون الجنسية وبان تخرج كالرجل الى هذه الدنيا تتعلم وتعمل وتكون شخصيتها

كو يصف الصين الجديدة

ألقى الدكتور كو فى الشهر الماضى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية عن تطور الصين وخروجها من القرون المظلمة الى القرن العشرين . والذين سمعوا محاضرته قد رأوا صورة مصر فى الصين فى كثير من الوجوه . وان كان تقدم الصين نحو الآراء العصرية يتجاوز تقدمنا سواء فى الكم أم الكيف . ففى الصين الآن مثلا قد ارتقت المرأة ودخلت فى ميدان العمل الحر . وهى تتعلم كما يتعلم الشبان على قدم المساواة . ولا تخلو مصلحة صينية من موظفات يعملن كالموظفين كما أن فى المحاكم قاضيات . ولما عقد العرض العام للألعاب الرياضية فى نانكين أخيرا كان عدد اللاعبين نحو ٣٠٠٠ منهم ٨٠٠ امرأة

ومن هذا يتضح للقراء أن الصين التى كانت تحبس أقدام نسائها فى أحذية من الحديد حتى يعجزن عن المشى باعتقاد أن هذا العجز هو برهان الترف والانوثة هذه الصين قد أصبحت تطالب فتياتها بالمباريات الرياضية وتعلمهن الى جنب الشبان وتوظفهن فى الحكومة

وترجع النهضة الصينية الى عهد قريب . ففى سنة ١٩١١ ألغيت الامبراطورية وأعلنت الجمهورية ولكن هذا الانقلاب لم يعن أن الصين قد انقلبت . فقد وجد دعاة الاصلاح

المارشال شيانج كاى شيك رئيس الوزارة ووزير الحربية

الجديد أن الامبراطورية قد خلفت لهم تراثا مزدوجا هو من ناحية هذا العدد الغفير من الموظفين الذين نشأوا فى ظل نظام بالعتيق . ومن ناحية أخرى هذه العقلية القديمة التى كانت تعم الموظفين والجمهور وهى تراث ١٨٠٠ سنة من الحضارة الصينية الراكدة . ولذلك لم يكن من الممكن احداث التغيير أو التجديد المنشود الا بعد ايجاد جيل جديد ينشأ فى ظل الجمهورية وايجاد عقلية جديدة تتفق والعصر الجديد . وقد احتاجت الصين بعد الغاء الامبراطورية الى ٢٥ سنة لتحقيق هذين الغرضين

وقد وصف الدكتور كو الصين القديمة كما عرفها فى طفولته وصباه فقص على السامعين كيف انه تربى فى كتّاب من الطراز القديم فكان أول درس قدم اليه عبارة حكمية قديمة تقول « الناس بطبيعتهم أبرار ولكنهم يفسدون بالمعاملة » وانه فى هذا الكتّاب لم يعرف معنى الوطنية الصينية ولم يكن يدرى أن لها راية . لان ولاءه عندئذ لم يكن للوطن بل للاسرة . والاسرة الصينية هى وقتئذ تضم الجدود والاعمام بحيث يتراوح عددها بين ٣٠ و ١٠٠ شخص أو أكثر . ولم يكن الصينى يملك عقارا وانما هى الاسرة التى تملك وهى التى تؤوى العاطلين من أبنائها ومن أعضائها

ولكنه بعد ذلك دخل الكلية التى أنشئت على الطراز الحديث . فعرف هناك الوطنية الصينية الجديدة وشعر بالنهضة الحديثة ، وفى الصين الآن من المدارس الجديدة ما يكفى لتعليم ١٥ مليون صبى ولكن صبيانها يبلغون ٤٥ مليونا ، وبعضهم لا يتعلم بتاتا أو يتعلم فى الكتاتيب القديمة التى يعنى فيها بالاستظهار

وكانت المرأة فى الصين مقهورة لا يذكر اسمها ، فكان الصينى اذا أراد أن يشير اليها يقول « الشخص الذى فى البيت » لان ذكر الاسم عيب وكان الدكتور كو قد خطبت له أمه وهو فى الثانية عشرة فتاة وأقر الخطبة رئيس الاسرة ، ولم تكن ارادته ـ ولا نقول حبه ـ محسوبة فى هذه الخطبة ، فلما قصد الى الكلية عرف طالبة أحبها واتفق معها على الزواج ، فلما عاد الى أمه فى الاجازة أخبرها بانه ينوى ترك الفتاة الاولى التى خطبتها هى له لانه يريد الزواج من الفتاة التى عرفها فى الكلية ، فصعقت الام لهذا الخبر وأوضحت له استحالة ذلك ، ولكنه هو قصد الى أم الفتاة وطلب اليها أن تعلن أنها غير راضية عن زواج ابنتها به حتى تحفظ كرامتها . وقبلت أم الفتاة هذا الاقتراح وعملت به

وذكر الفرق بين التعليم الصينى القديم وبين التعليم على الطراز الحديث . فقال ان الاول كان قائما على كتاتيب تؤسسها الاسر . ولم يكن للحكومة مدارس وانما كان اشتراكها فى التعليم

مقصورا على الامتحانات فقط . وكان يقصد من لفظة « عالم » و « مثقف » أن يكون الرجل دارسا للدين والاخلاق والآداب القديمة . أما الآن فى المدارس الجديدة فانه يقصد من التعليم الغاية النفعية وليست الغاية الاخلاقية . والتعليم الجديد يقوم على المدرسة الابتدائية وهى ٦ سنوات ثم الثانوية وهى ٦ سنوات أيضا ثم العالية « أى الكلية » وهى ٤ سنوات ولم يعد الصبى يطلب منه أن يستظهر الحكمة القديمة بل هو كصبيان الاقطار المتمدنة يقرأ العبارات الصغيرة عن الكلب والقط والفأر ويبقى يتدرج فى تعلمه سنة بعد أخرى . ولم تكن الفتاة الصينية تتعلم فى النظام القديم الا قليلا جدا حين كان أبواها يبعثان بها مع أخيها كأنها ملحق له . أما الآن فهى تتعلم كالصبى سواء وتتعلم معه جنبا لجنب فى جميع درجات التعليم

وقد مضى على الجمهورية ٢٥ سنة استطاعت الصين أن تجدد فيها عقليتها وهيئة موظفيها ولذلك فان الدكتور كو يرى أن الدستور الذى سيعلن ويعمل به فى السنه القادمة سيكون أداة حسنة لتسيير شئون الدولة وتنفيذ الخطط الاصلاحية . أما قبل ذلك فلم يكن من الممكن اعلان هذا الدستور وتنفيذ أصوله لان الموظفين كانوا من الجهة الواحدة هيئة قديمة اعتادت طرق الامبراطورية ولان العقلية السائدة على الجمهور كانت أيضا قديمة لاتتفق وتنفيذ خطط الاصلاح



بناء الكون

للاستاذ رمسيس شحاته

ما أبعد الصورة الحاضرة للكون عن الصورة العتيقة التي كان يقدمها لنا العلم القديم لهذا الكون نفسه ... !؟
لعل تأصل الفرق بين الصورتين بيننا على فهم الكون وتقدير حقيقته وحقيقة العلم أيضا بالنسبة لنا .

مقدمة منطقية :

لو أكدت لك ياسيدى القارىء أن وجود شىء ما يستلزم وجود شىء آخر بحيث لا يمكن بحال من الاحوال الاستغناء عنه أبدا الا يدعوك ذلك الى التسليم بأن الثانى عنصر من مكونات الاول ؟

ان وجود الكتاب مثلا يستلزم وجود الورق والحبر بحيث اذا نقص أحدهما ما أمكن وجود الكتاب . ولذلك فنحن نقول أن الورق والحبر يدخلان فى تركيب الكتاب وأنهما عنصرين من العناصر التى تكونه . وواضح أن ذلك هو عين الحقيقة فنحن نتبينه بجلاء بمجرد النظر إلى الكتاب

ولكن وجود الكتاب يستلزم فوق الورق والحبر شيئا آخر هو عمل الكاتب الذى تولى كتابته والمجهود الذى صرفه هذا الكاتب فى اداء عمله لاتمام تأليف الكتاب فهل يجوز لنا أن نعتبر هذا المجهود أيضا جزءا مكونا للكتاب وعنصرا اساسيا فيه على شاكلة الورق والحبر الذى تتكون منه صفحاته ؟ ان تأملا بسيطا يجعلنا أن نجيب بالايجاب . ولماذا لا ؟ الواقع أنه لولم يصرف المجهود المشار اليه لما أمكن أن يوجد الكتاب بأى حال من الاحوال . حقيقة ان المجهود الذى صرف ليس شيئا محسوسا ملموسا على شاكلة الورق الذى يكون الكتاب . ولكنه مع ذلك شىء موجود فعلا لانه على قدر هذا المجهود تعلو قيمة الكتاب الفنية من حيث الطبع والاتقان

والعلمية من حيث المادة والحقيقة التي تتضمنها صحائفه

وعلى ذلك النحو نريد أن نرى العناصر الاولية في بناء الكون بحيث نستطيع بهذه العناصر أن نكون لانفسنا صورة ذهنية للكون على أبسط ما يكون . ويجب أن نلاحظ مع ذلك أننا في الواقع عاجزون عن فهم الكون بجملته واننا يجب أن نلجأ في ذلك الى أكبر تحليل ممكن . اننا نعرف أن الكون على أبسط صورة له عبارة عن مادة وطاقة . ولكنه مع ذلك شديد التعقيد في هذه الحالة . فان دراسته باعتباره مادة وطاقة تتضمن كل الفلك وكل الفيزياء ولذلك نريد أن ندفع التحليل الى أبعد مما تقدم قليلا ولنتدبر لذلك سبيلا فيما يلي . ولكن لعله من المستحسن أن نستخلص مما تقدم النتيجة الهامة الآتية وأن نضعها من الآن نصب أعيننا وتتضمن هذه النتيجة أن الضرورة المكلفة لوجود شيء ما حتى يمكن أن يوجد شيء آخر تجعل من الاول عنصرا مكونا في الثاني . ويحسن بالقاريء أن يتأمل هذه النتيجة والتدليل الذي سقناه عليها في بدء الكلام قبل أن ينتقل الى ما يلي حتى يتجنب بذلك صعوبات واعتراضات لاطائل تحتها

والآن بعد ان أخذت قطعة من الحجر ووضعتها أمامك وتحت بصرك فما هي أول فكرة تطرأ على ذهنك بعد مشاهدة الحجر مما يتعلق به وبخواصه ؟ لاشك في أن أول فكرة تتبادر الى ذهنك عن الحجر نفسه هي أنه يشغل حيزا في الفضاء وأنه لابد لوجوده من ذلك فاننا لو استطعنا أن نضغط الحجر بحيث يصبح ولاحجم له أي بحيث لايشغل أي جزء من الفضاء مهما صغر هذا الجزء أمكننا عندئذ أن نسلم بأنه قد انعدم ولم يصبح له وجود

ونستنتج من ذلك بسهولة أن المكان ذلك المعنى الهندسي الغامض أساس أولي من أسس الوجود المادي بمعنى أنه لو لم يكن هناك فضاء ليسع ما في الكون من الاجسام لما أمكن وجود هذه الاجسام . ونحن اذ نسلم بالنتيجة المقدمة نستطيع أن نقول ان الطبيعة قد جعلت الفضاء بحيث يحوي الاجسام وأمكننا أن نقيد شرط وجود الفضاء بوجود المادة التي يحويها . وهذه هي الفكرة التي جعلت أينشتين ينادي بأن الكون منتهي وأن اتساعه مقيد بمقدار مافيه من المادة . انني أسلم أن الوصول الى النتيجه الثانية عن طريق النتيجة الاولى قد يصعب قليلا على القاريء وفي وسعه عندئذ أن يهملها . فلم يأت ذكرها الا عرضا . والمهم هو أن نلاحظ أن وجود الجسم المادي يستلزم أن يشغل حيزا من الفضاء وعلى ذلك يصبح الفضاء على النحو الذي قدمناه عنصرا أساسيا في تكوينه

إن هذا أمر طبيعي جداً ومسألة مسلم بها ولكننا قد نجد بعض الغضاضة فى قبولها خصوصا عندما نري أن ذلك يقودنا إلى قبول حقائق أخرى مماثلة لها مما لا يتفق وعاداتنا الذهنية الحاضرة وأساليب تفكيرنا العادية

الزمن كالمكان عنصر فى بناء الكون

ونقصد بهذه الحقائق ما يتعلق بالزمن فاننا لو تأملنا قليلا لوجدنا أنه فى الواقع عنصر أساسى فى وجود الموجودات كلها وبالتالي الكون

هب انني أعطيتك مكعبا من الرصاص مثلا طول كل ضلع من أضلاعه سنتيمترا واحدا فهل تستطيع أن تؤكد وجوده ما لم تحسه أو تراه أو تزنه ؟ ثم أليس القيام بهذه العملية يستلزم وقتا . هل تستطيع أن تؤكد لي وجود ذلك المكعب ولو لم يستمر ذلك الوجود على مر الزمن ؟

إن تفريقنا بين الزمن والفضاء تفريق وهمى لا يستند الى حقيقة وهو تفريق اصطناعى محض

إن الاجسام الموجودة فى الكون كذلك طاقتها ليس لها وجود إلا لانها تستمر ولو أننا جعلنا استمرارها محالاً بأن رفعنا الزمن كلية من بين العناصر المكونة لها لاستحال علينا إثبات وجودها مع أن ذلك لا يمنعنا من أن نسلم أنها قد تشغل فى الفضاء حيزا ثلاثي المقاييس من طول وعرض وارتفاع

إن الأجسام لا تظهر لحظة وتختفى وذلك لسبب واحد وهو أن الزمن عنصر من العناصر التى تدخل فى تركيبها ولو لم يكن فى الكون زمن ليستمر فى أثنائه هذا الكون لما أمكن وجوده

إن ما تقدم هو فى الواقع الناحية الفيزيائية البحتة للمقياس الرابع وهى الفكرة الفيزيائية الاخيرة التى تتضمنها ابحاث منكووسكى فى ذلك الباب وهى فكرة سديدة ليس هناك ما يمنعنا من قبولها وتأكيدها . ان الزمن كالمكان عنصر أساسى فى وجود الكون

فلسفة الحادثة

ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا الوجود الفيزيائى يختلف اختلافا جوهريا عن الوجود المطلق الذي كنا نعرفه قبل ادخال فكرة المقياس الرابع فى الفيزياء الحديثة . ان هذا الوجود

ليس وجودا مطلقا انما وجود نسبي اذ هو في الواقع عبارة عن حادثة في الفضاء يكون الزمن جزءا منها وجزءا أساسياً ليس من سبيل الى اهماله فاستمرار الكون كما قدمنا شرط أساسي لوجوده

وفوق ذلك فان اعتبار الوجود من الناحية الفيزيائية كحادثة على النحو المتقدم يجعلنا نتعمق الى قلب مشكلة لم نجرؤ من قبل على ولوجها وهي مشكلة طبيعة الزمن باعتبار الزمن مقياسا رابعا في المقاييس الكونية ثم ادخال احداثي له ضمن احداثيات جاليلي للفضاء يجعلنا أن نسلم أن الزمن مقياس كهذه المقاييس أمر نسبي محض. وتجريد الزمن من كل الصفات الخفية التي له أمر له معناه وقيمته قد غير وجه الفيزياء الحديثة تغييراً عظيما

ان ربط وجود الكون بشرط استمرار ذلك الوجود يتضمن فكرة أعمق من فكرة اعتبار الزمن مقياسا رابعا فقط أي من فكرة تجريده من كل المعاني الغامضة التي كانت له من قبل وهذه الفكرة الجديدة هي في الواقع لباب النسبية ومحور فلسفتها

ان استمرار الكون شرط بوجوده لان الوجود حسب نظرية النسبية ليس شيئا مطلقا انما أمر نسبي محض. ان وجود الشيء معلق باستمرار حدوثه لان الحادثة هي في الواقع كل ما يمكن أن يشاهد وقوعه راصد ما. ولما كان لا يكفي للتسليم بوجود كائن ما أن نستنتج وجوده حسب قانون أولي من قوانين الطبيعة انما يجب لذلك أن يكون من المستطاع لراصد ما أن يرى ويثبت وجوده، ولما كنا لا نستطيع أن نشاهد أو ان نسلم بوجود أي شيء سوى الحادثة وجب أن يكون لباب الوجود حوادث

ان التعمق فيما تقدم أكثر من ذلك أمر مستحب ولكنه على قدر عظيم من الخطورة والصعوبة والتعقيد ولذلك نرى ان الافضل الوقوف عند هذا الحد. وفي استطاعة القارىء أن يتبين الحقائق التي ذكرناها آنفاً في أن يتحقق من معناها ومبناها وصحتها لو تأمل بقليل من الامعان ما قدمنا من الافكار القليلة

الطاقة وقيمتها في الكون

لو أمعنا النظر قليلا لوجدنا أنه لا يكفي لوجود كائن ما كجسم مادي مثلا أن يشغل ذلك الكائن حيزاً من الفضاء ثلاثي المقاييس وأن يستمر حدوثه في الزمن مكونا بذلك مقياسا رابعا أو بعبارة أدق لا يكفي لوجود كائن ما أن يشغل هذا الكائن حيزاً رباعي المقاييس من الفضاء

والزمن بل نلاحظ انه يجب لذلك أن يتوافر شيء آخر . ان الفضاء والزمن بمفردهما لا يكونان حوادث لأنهما يظهران كالمنفصلين من بعضهما لو لم يربطهما شيء آخر أو قل ان الفضاء والزمن لا يأخذان معنى مجسما الا عند تكوينهما الحوادث وهذا التكوين يستلزم فوق اندماجهما شيئا آخر لو أمعنا النظر في طبيعته لوجدنا دون عناء أنه هو الطاقة

ان ما في الكون من محسوس ومشاهد من الكائنات ليس الا مظهر الحقيقة واحدة هي حقيقة الطاقة أو على حد تعبير دي بروجلي: الامواج المادية . ان المادة والاشعاع ليسا عند التحليل الاخير الا صورتين لشيء واحد هو ما نريد ان نعبر عنه بكلمة طاقة

والآن لنتأمل قليلا كيف انه لا بد من وجود الطاقة حتى يمكن ان تنشأ الحوادث وبالتالي حتى يمكن ان نسلم بوجود كائنات ما في الكون

تخيل الآن أمامك فضاء ثلاثي المقاييس على هيئة مكعب طول ضلعه سنتيمتر واحد واذا صعب عليك ذلك ففي استطاعتك أن تساعد خيالك على تصوره بأن ترسمه بأصبعك او مستعينا بقلمك في الفضاء وسوف تجد انه من السهل ان تصل بهذه المقاييس الثلاثة في عقلك او فكرك او تصورك الى المقياس الزمني الرابع فانت في حل من أن تفرض ان الفضاء الذي عينته مستمر ولكنك مهما اجهدت نفسك في التفكير والتأمل والبحث سوف لا تجد في هذا التركيب العقلي صورة مكعب من الخشب او الحديد أو العاج كالزهر الذي نستعمله في لعب النرد مثلا . ولسوف تجد انه من السهل جدا أن تقنع نفسك أن هذه المقاييس الاربعة لا تكفي وحدها لأن تعطي وجودا . وسوف تشعر أن عملية ربط المقاييس الثلاثة الاولى بالمقياس الرابع التي قمت بها في ذهنك وتصورك ليست متينة بالدرجة الكافية لأن تهييء وجودا انما يجب لذلك من وجود عنصر آخر هو الطاقة . وهو الذي يقتضيه الوجود المادي البحت . ولو تأملت قليلا لوجدت أن المكعب الذي تخيلته في الفضاء وفرضت استمرار حدوثه قد يكون مكعبا من الخشب كما قد يكون من الثلج او الحديد أو العاج وانه ليس من سبيل الى تحديد طبيعته الا بادخال جزء من الطاقة في تركيبه وعندما تتم عمليه ربط هذا الجزء من الطاقة بالتركيب السابق تجد انه يبدأ عندئذ بالظهور بمظهر آخر يتفق والحقيقة الواقعة لما يتمشى مع طبائع الاشياء . عندئذ يختفي ذلك التفكك الظاهر في المقاييس المكانيه والزمانية ويغدو الكائن حادثة حقيقية

تشبيه الكون

لقد دعا ما تقدم من الافكار السير جيمس جينز الى تشبيه الكون بلوحة زيتية . ولقد كان في هذا التشبيه موفقا الى أبعد الحدود بل نستطيع أن نقول انه مامن تشبيه آخر يتفق والحقيقة بقدر اتفاق هذا التشبيه معها وانطباقه عليها في كل النواحي ولنتأمل ذلك قليلا

كلنا نعرف أن اللوحة الزيتية تتكون من نسيج وضعت عليه زيوت مختلفة الالوان بطريقة فنيه خاصة بحيث يعطى ذلك الوضع شكلا فنيا متناسقا جميلا . والكون كهذه اللوحة تماما مكون من نسيج لحمته الزمن وسداه المكان وكما انه يستحيل وجود النسيج دون وجود هذين العنصرين كذلك يستحيل وجود الكون دون وجود الفضاء والزمن. ان خيوط الكون كما تصورها منكووسكى تجد تفسيرها الطبيعي في هذا المثل ولا يصعب علينا اذا تأملنا معناها خلاله فهمها بوضوح وجلاء وسهولة . أما الزيوت الملونه فتحتل في اللوحة الزيتية المكان الذى تحتله الطاقة بأشكالها المختلفه في الكون . ان الالوان التى تمثل الشجرة في اللوحة تعادل المادة التى تكون الشجرة في الطبيعة مادمنا نسلم أن المادة والطاقة شيء واحد ومظهران لحقيقة واحدة

بقي هناك شيء آخر أخشى ان يقودنا الكلام عنه الى الدخول في حدود ماوراء الطبيعة او الميتافيزياء ولذلك نكتفى بمجرد الاشارة اليه فقط فيما يلى

ان اللوحة ليست مكونة من نسيج والوان فقط بل انها تعطينا فوق ذلك فكرة أخرى هى ماتضمنته من معنى او جمال وفن ونحن نستطيع أن نجد مثال ذلك ايضا في الكون نفسه . ان للكون معنى . ومهما كان عجزنا عن فهم حقيقة هذا المعنى والاحاطة بكل تفاصيله ودقائقه فان ذلك لايدعونا بحال من الاحوال الى انكار وجوده . لاشك أن هناك معنى للكون كما أن للحياة معنى وكما أن للوحة أيضا معنى

أما مافي اللوحة من جمال وفن فنحن نرى مثاله في الكون أيضا فالفلك والفيزياء يعلماننا أن الكون جميل وجميل جدا وآية ذلك أننا كدنا نختزله فيما تقدم الى عناصر لاتتعدى اصابع اليد عدا . وفي الكون تناسق وتوافق تام يراه ويحسه كل من أخذ نفسه بدراسته وهو أشبه ما يكون بما نجده في لوحة فنية متقنة من تناسق وتوافق

الله

ولو كنت شاعرا فيلسوفا ياسيدى القاريء لألهمك الخيال فكرة عبقرية جبارة ولما ترددت لحظة فى القاء هذا السؤال المعقد : اذا كان الـكون كاللوحة الزيتية تماما فمن يـكون ذلك الفنان الذى ابدعه ؟

ان هذا السؤال قد ظل معضلة المعضلات أجيالا عديدة وربما ظل كذلك الي الابد على أنك تستطيع أن تجيب عليه مع واحد من كبار الفلاسفة الحاليين واعنى به الاستاذ جيمس جينز هذه الاجابة السهلة البسيطة : الله

واذا سألك ذلك واعترضت على أن ذلك يتضمن دعوى باطلة بانسانية الله فلا أقل من أن تسلم مع فيلسوف آخر من اكبر فلاسفة الوقت الحاضر واعنى به اينشتين ان الله ان لم يكن الفنان الذى ابدع الـكون فهو الفن الذى يتجلى فى ذلك الـكون فى كل حين والذى هو مصدره

رمسيس شحاته





التليباثية

دعوة الى القراء

كاتب هذه الكلمات من أحرص الناس على التمييز بين الاختبار والتجربة . وهو يؤمن بالتجربة كل الايمان ويتشكك كل التشكك فى الاختبار . والفرق بين الاثنين ان التجربة يمكن أن تكرر وأن يقوم بالبرهنه على صحتها أشخاص مختلفون . أما الاختبار فقد يقع لشخص دون آخر

ويرى كاتب هذه الكلمات أنه باختباره الخاص وباختبار عدة أشخاص يعرفهم وله فيهم ثقة كبيرة ان التليباثية أي الشعور أو المعرفة عن بعد تشبه أن تكون حقيقة . وهو مع تشككه يدعو قراء هذه المجلة أن يتعاونوا معه على تحقيق هذه الظاهرة النفسية . فلعلها ظاهرة جديدة فى تطور البشر ولعلنا على وشك الاهتداء إلى قوة جديدة فى أنفسنا . وهى لجدتها تظهر فى بعض الأشخاص دون بعض لما تعم الجميع

فأنا أسأل كل قارىء :

١ — هل وقع لك أنك شعرت بقلق عن أحد أصدقائك أو أقربائك ورأيت صورته فى مخيلتك ثم علمت بعد ذلك انه فى هذه اللحظة التى قلقت فيها عليه قد حدث له حادث سيىء ؟

٢ — وهل حلمت ذات مرة أنك رأيت هذا الصديق أو هذا القريب وهو يعانى النجاة من كارثة أو التخلص من ورطة أو هل رأيته فى نزع الموت . ثم حين استيقظت فى الصباح جاءك منه أو من آخر الخبر السيىء عنه أو عن آخر شبيه به فى المكانة منك ؟

هذه هى التليباثية أى الشعور عن بعد . وقد مضى على كاتب هذه الكلمات سنوات وهو ينكرها . وهو فى انكاره لها يكاد يخشى أن تكون صحيحة لأنها تنافى المألوف من نزعته العلمية وكراهته للتفكير الصوفى . ولكن اختباراته الشخصية التى كان يعزوها قبل الآن إلى المصادفة المحضة ثم اختبارات أصدقائه الذين يثق بهم قد ملأت نفسه شكوكا يجب أن يجلوها . فما أدرانا ! فلعلنا على وشك الاهتداء إلى خاصة جديدة فى النفس الانسانية

فماذا تقول أيها القارىء ؟ هل حدثت لك حوادث تدل على صحة التليباثية ؟ أرجوك أن تخبرنى عنها

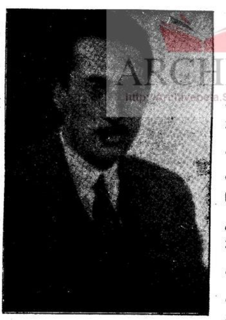
س . م .

الروح والجسم لهذا الاستقلال

للاستاذ توفيق الحكيم

قال عزيز المصرى باشا فى محاضرته الاخيرة كلمة رددها وأصر عليها فى أكثر من موضع هى أن وزارة المعارف ووزارة الحربية هما المنكبان القويان يرفعان هامة الاستقلال . وهى كلمة صادقة . فما الدولة الحية إلا أمة ذات روح يقظ مهذب فى جسم نشط قوى . والروح من شأن وزارة المعارف ، والجسم من شأن وزارة الدفاع وما الوزارات الاخرى إلا شرايين وأعصاب تمد هاتين الوزارتين بمادة الحياة وأسباب النماء ووسائل التنظيم

واليوم وقد وضع مصيرنا فى كفنا وآن لنا أن نضم من أنفسنا أمة عزيزة الجانب كتلك الأمم الرابضة أمامنا تنظر بأعين مستطلعة ماسنفعل بحريتنا وماسنستخرج من كنوزها ، اليوم ينبغى لنا أن لانضيع وقتا . فحريتنا محسوبة علينا . والطريق أمامنا واضح مستقيم . فهذا الروح الخائر الواهن من أثر تلك الاغفاءة الطويلة ، فى حاجة الى هزة فكرية عنيفة قوامها سياسة فى التعليم واسعة النطاق ، قومية الاتجاه ، ترمى الى اشعار المصرى بعصريته ومكانته فى أسرة الانسانية وما قدمه اليها من حضارة فى ماضيه ، ومايبنغى أن يقدمه اليها فى حاضره ومستقبله . وسياسة فى التثقيف العام سريعة الفعل فى مختلف طبقات الشعب . تقصد الى رفع الناس من حضيض حياتهم العادية الى درجة من الحياة الروحية يستطيعون معها تذوق بعض شئون



الاستاذ توفيق الحكيم

الفكر فيحسون أنهم سموا بانفسهم عن أنفسهم ويشعرون أن لهم رأيا ، وأن لهم كيانا ، وأنهم خلايا نابضة يقظة فى كتلة صحيحة

ومن هنا يولد الرأى العام الناضج ، أحد مظاهر روح الامة الحية المتحضرة

فالرأى العام اذن هو من صنع وزارة الروح أعنى وزارة المعارف

ثم هذا الجسم النحيل فى اطاره ، الضعيف من طول الترك والاهمال ، فى حاجة الى سياسة ثابتة حكيمة من وزارة الدفاع تجعل منه قوة قادرة على الذود والدفاع . وأمر القوة المادية هين ميسور وقد سبق لمصر منذ أقل من قرن أن ظهرت بقوتها الجثمانية ظهورا ألقى الذعر فى نفوس الدول ، فاجتمعوا على كسر شوكتها . وكانت مصر وقتذاك كالعقرب لاتملك الا شوكة فلما انكسرت ماتت . ذلك أن مصر لم يكن لها روح أو قوة معنوية جاثمة خلف القوة الجسدية شأن الدول الكبرى . فلم يكن فيها علم ولا فن ولا فكر . وكان الشعب يغط فى الجهل . انها كانت نهضة عسكرية وكفى . والنهضة العسكرية وحدها لاتصنع أمة محترمة ، كما أن قوة العضلات وحدها لاتصنع رجلا محترما

ولقد أشبهت مصر وقتئذ بفلاح ضخم الجسم أعطى هراوة ووقف يقطع الطريق على الناس ، فلما تكاثروا عليه انتزعوا منه الهراوة وطرحوه أرضا ووضعوا فى قدميه الاصفاد فغدا عبدا ذليلا

أين هذا من ذلك الرجل المهذب المثقف « المانيا » وقد وقفت عين الموقف اذ اجتمعت عليها اكثر الدول فى الحرب العظمى وانتزعت هراوتها . لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يضعوا فى ساقيها الاغلال لأن الرجل المثقف لايستعبد . والامة المتحضرة لاتستعمر . ولم تمض سنوات قليلة حتى استطاعت المانيا بروحها المعنوية وحدها وبقواها الفكرية أن تستعيد مركزها وأن تشحذ سلاحها من جديد

فالجيش وحده بغير الحضارة لايغنى شيئا . وأمامنا مثل الحبشة

والحضارة وحدها بغير الجيش قيها غنى فى اكثر الاحيان ، وأمامنا مثل هولاندا وسويسرا

لذلك أجدنى أقدم قوة الروح على قوة الجسم . وأتمنى لو تنصرف الآن كلنا الى العناية بامر قوتنا المعنوية والروحية . تلك القوة التى فقدتها مصر منذ قرون طويلة ولم تعد اليها حتى الساعة . ولقد كادت تذهب من رءوسنا ذكرى تلك الايام التى كانت فيها مصر مشرقة بحياة روحية أضاءت أفق العالم وطبعت كل ماحولها بطابع عقلها وفكرها . لقد نسيت ذلك . والفضل فى هذا النسيان

لكتب التاريخ التى وضعت فى أيدينا صغارا تلقننا التافه من أرقام الشهور والاعوام وعدد المواقع الحربية وأسماء الملوك والامراء ، وتمر مرا سريعا على ذلك الجوهر النفيس الذى من أجله دون التاريخ : العقل الانسانى وكيف تطور وكيف أبدع الحضارات ، وحظ الامم المختلفة من هذا التطور والابداع . وهل التاريخ الحقيقى العظيم ، الجدير بالدراسة إلا تاريخ الفكر وانتاجه وآثاره فى ترقية نوعنا وتحسين شؤوننا وبسط سلطاننا على ما فى الطبيعة ؟ وأين لمصر فى هذا التاريخ صفحات مجيدة هى كل فخرها على الدهر . ولكننا مع الاسف لم نفرغ فى نفوسنا هذا المجد بل أفرغت المدارس فينا أرقاما جوفاء

فلا ينبغى اذن أن نضيع وقتنا ولنأخذ من الآن فى وضع استقلالنا وحريتنا على تلك الاسس الثابتة التى لا تنهار : القوى الروحية والمعنوية . ولنتوجه جميعا فى رجاء وأمل شطر تلك الدار التى من بين جدرانها يبعث روحنا القومى ، ومن قالبها تخرج الامة المثقفة التى لن تستعبد : وزارة الروح العمومية



الغرض من التربية

بقلم الأستاذ محمد حسين المخزنجي

أنا أيضا أؤكد بأن الغرض الاسمى من التربية هو إعداد الفرد للحياة المنتجة النافعة في المجتمع . اعداده لكي يكون مواطنا بأتم معاني الكلمة ، يعرف حقوقه ، ويؤدى واجباته على أكمل وجه وأصلحه

ولكي يتحقق هذا الغرض يتحتم أن يكون للفرد رغبة أكيدة ، وعزيمة صادقة ملحة على الحياة والعمل في هذه الحياة — فنحن نسمع من وقت لآخر بأن أحد تلاميذ المدارس قد حاول الانتحار وأن احدى الطالبات أرادت أن تتخلص من تلك الحياة . . والاسباب التي تعطى لمثل هذه الاعمال غير مقنعة ولا معقولة

ربما يصعق الآباء والمدرسون اذا علموا ان الانتحار الذي يقدم عليه الطفل أو البالغ ما هو الا المرحلة الاخيرة من مراحل ثورة الطفل أو البالغ وحنقه على الحياة وكرهه لها . هذه الثورة وهذا الحنق وهذه الكراهية يعبر عنها كل من هؤلاء بطرق مختلفة متعددة ، كثيرا ما نسمع عن أطفال وعن بالغين يرفضون الاكل ويرحبون بالجوع — يرفضون الغطاء الثقيل في الشتاء — يجازفون بحياتهم في أشكال مختلفة ، والسبب في ذلك كله انما هو هذا الاحتجاج على الحياة والثورة ضدها

ولا يهمنا هنا أن نبحث عن سبب هذا الاحتجاج أو عن علة هذه الثورة . وكل ما نريده هو أن يكون الشخص ذو رغبة أكيدة في الحياة ، وعزم صادق على العمل والمعيشة

كذلك يتحتم أن يشعر الفرد بشيء من السلطة ، والاعتداد بالنفس ، والرغبة في الاستقلال في العمل والتفكير

نحن الآن نسمع بالثورة على استعمال القسوة والشدة في تربية الاطفال وتكوينهم . فقد كان القدماء يربون أطفالهم ويعودونهم الاخشيشان في العيش ، وتحمل الآلام ، والصبر على الجوع والعطش والاذى . . . . ولكننا الآن لا نرى ذلك في تربية الاطفال . مع أننا لا نعتقد أن تدريب

الطفل على تحمل شيء من المشاق وقليل من الصبر وغير ذلك أمر لا بد منه فقط . نحن نطلب أن يكون الطفل مدفوعا الى عمل ذلك بارادته دون ضغط أو ارهاق أو ارادة خارجية

ثم يجب أن يكون الفرد في نفس الوقت على استعداد لمواجهة ما يصادفه من معارضة ونزاع خارجي أو داخلي ، فكل طفل عادي سوف يصادفه نزاع داخلي في حياته المستقبلة وسوف يريد شيئا ليس له ، ويطلب شيئا لا يمتلكه . سوف يخاف مما يطلب منه عمله . فالى أى حد تمد التربية الافراد لمواجهة هذه الحالات والي أى حد تمدهم التربية للتخلص من هذا النزاع بالانغماس فيما يلهيهم ويبعدهم عن التفكير فيه

ثم يجب أن تساعد التربية الفرد على تقدير الاشياء والتمييز بينها . يجب أن يكون الفرد قادرا على معرفة الجميل والرديء ، والنافع والضار . يتعلمهما عن طريق الامثلة الحسية أمامه لا بطريق الوعظ والارشاد . فالطفل الذى يعيش فى منزل يرى فيه الجرائد والمجلات ملقاة على أرض الغرفة ومبعثرة هنا وهناك عقب قراءتها أو تصفحها — مثل هذا الطفل لا يجد فى مثل هذا المنظر أى جمال أو جلال . فالقاء هذه الجرائد والمجلات وعدم وضعها فى مكانها وغير ذلك من عدم النظام والترتيب يوحى الى الطفل عدم الاكتراث وعدم تقدير الجميل النافع

كذلك الراديو والحاكى والمسرح كل هذه توحى الى الطفل وتؤثر فيه بطرق مختلفة متعددة

يجب أن تعمل التربية على اعداد الفرد للحياة الاجتماعية بجعله يثق (الي حد معقول) بزملائه وبنى جنسه وتعويده التعامل معهم بروح من التسامح والثقة المتبادلة . يجب أن يشعر الفرد بالمسئولية ، وما يجب عليه نحو اخوانه وما تتطلبه الحياة الاجتماعية من سياسة « الاخذ والعطاء » يجب أن يعود الفرد الاعتماد على النفس والاستقلال فى العمل والتعاون والاشتراك فى المسئوليات الاجتماعية بحرية تامة دون ضغط أو ارهاق خارجي . وهذا ما تمتاز به التربية الحديثة عن القديمة . فالطفل الحديث يعيش فى عالم حر يتحرك ويفكر ويعمل غير هياب ولا وجل . فالخوف الآن ليس هو الدافع للاطفال على العمل كما كان قديما — هذا الخوف هو سبب فشل الافراد فى الحياة وهو أساس كل ضعف فى شخصياتهم — فالخوف يبعدهم عن الحقيقة ويمنع الفرد من أن يكيف نفسه الظروف المحيطة به وأن يعيش ممتعا فى البيئة التى ينتمى اليها . والطفل الذى يربى على الخوف هو طفل ضعيف ناقص الشخصية لم يكون التكوين الصحيح

والتربية يجب أن تعمل على تكوين الشخصية التامة المتزنة

فيجب أن تدرب التربية الفرد على مواجهة الحقائق مهما كانت مرة أو صعبة لاتتقبلها النفس ـ فنحن الآن ، فى هذا العصر الحديث ، لا نجد أمامنا الا أناسا يحاولون الهرب من الدنيا ومصاعبها ومتاعبها

فالتدخين والرقص والملاهى والسفر الى الخارج للهو والتسلية ، كل هذه أعذار ينتحلها الافراد أمام أنفسهم للتخلص من التفكير والعمل فيما يتعلق بالعالم وما فيه من حقائق — ومن الغريب ان هؤلاء الافراد يدعون أن هذه حريتهم — هذه حياتهم يجب أن يمتعوا فيها وأن يعملوا ما يريدون بحريتهم وكما يتراءى لهم — يجب أن نوقف حداً لتيار الهرب والتخلص من المتاعب والاعمال والتفكير فى الحقائق والمشا كل والا غلبت علينا هذه الناحية وتحكمت فينا . ولن يتم هذا الا اذا عملت التربية على ايجاد روح المسئولية الحقيقية فى الافراد . فنحن نريد ان يشعر الفرد بحريته وان يعلم انه هو الوحيد الذى عليه ان يحدد من حريته ويقيدها

نحن نريد ان نمنح الاطفال حرية تساعدهم على العمل والتفكير المنتج — حرية لا تتعارض مع مصلحتهم ولا مصالح الآخرين — يجب ان يعود الفرد ان يحدد من حريته بنفسه والا اضطرت الجماعة ان تقيدها وتقف فى سبيلها

فعلى المدرسة ان تربي فى التلاميذ روح المسئولية الاجتماعية حتى يستطيع كل منهم ان يعيش عيشة هادئة منتجة سعيدة مع نفسه ومع باقى أفراد المجتمع





طلعت حرب

تأليف حافظ محمود ومصطفى كامل الفلكى ومحمود فتحى عمر
طبع بمطبعة مصر . صفحاته ٢٠٤ من القطع الكبير

أعجبتنا فكرة هذا الكتاب . فان مؤسس بنك مصر يحتاج الى ترجمة وافية . وهذه الترجمة التى قام بها هؤلاء المؤلفون الثلاثة تسد فراغا كبيرا كان يحس به كثيرون من المشتغلين بالمسائل الاقتصادية والمهتمين بتطور مصر الاجتماعى . وقد فصل الكتاب جهود طلعت حرب باشا المختلفة منذ شبابه . وهاك أهم الفصول: بطل الاصلاح الاجتماعى . المجاهد الوطنى . زعيم الاستقلال الاقتصادى العالمى . طلعت العظيم . مدرسة طلعت حرب

وهذه العناوين توهم الانشاء وبهرجة الألفاظ ولكن الحقيقة ان المؤلفين كشفوا عن فترة مجهولة من حياة المترجم به لايدريها الا الذين فى سنه والذين عرفوه أيام معارضته لقاسم أمين فى حرية المرأة ومعارضته لمشروع مد امتياز قناة السويس . ثم جهاده منذ سنة ١٩١٠ لتحقيق الاستقلال الاقتصادى لمصر

وقد أحسن المؤلفون كثيرا بالاستشهاد بخطب ومؤلفات طلعت حرب باشا مع الاقتباس منها بتوسع . ومن هذه الاقتباسات تبدو صورة جلية لمؤسس بنك مصر كما هو الآن فى زعامته الاقتصادية . كما يبدو للقارىء منها أيضا سلسلة تطوراته الذهنية منذ شبابه الى الآن . وهى كلها تثبت ان عبقرية المترجم به تنهض على قدرته العظيمة على الجلد للعمل والبحث مع النزاهة الفكرية والرغبة الخالصة فى الاصلاح

ونحن ننقل فيما يلى هذه المعلومات المجهولة وهى تدل على أسلوب الكتاب :

كذلك انتظم الشاب « محمد طلعت حرب » فى صفوف مدرسة الحقوق، ودراسة الحقوق كانت بين أبناء الجيل السابق هى غاية الغايات من الدراسة ، ووسيلة الوسائل الى منصات الحكم والقضاء وكراسى الرياسة والصدارة فى حياة المجتمع المصرى

فكان الطلبة تشغلهم أحاديث جاههم وثرواتهم ، ولم يكن لصاحبنا مايشغله الا دروسه المتواصلة

واذن فقد أحس الطالب طلعت حرب إحساس الطالب نابليون بونابرت ، لكن عظيم مصر لم تبكه وحدته النفسية — وحدة العبقرى — بين الطلاب كما أبكت هذه الوحدة عظيم فرنسا فى صباه ، ذلك لأنه خلق ذا نفس مؤمنة مطمئنة . إلا أنه قد عرف طريقة مباشرة إلى مغالبة الأيام ومهاجمة نقصها بوثبات صادقات إلى الكمال ، فاذا التاريخ يشهد أن هذا الطالب الحقوقى قد غدا أكثر زملائه مالا ، وأعزهم جاهاً ومجداً !!

تخرج « محمد طلعت حرب » فى الحقوق سنة ١٨٨٩ . وكان طبيعيا — وهو فى مقدمة المتخرجين ومن أنبههم ذكراً ، وأصغرهم سنا ، وأميلهم عن الاشتغال بمهنة المحاماة — أن تتهافت عليه الوظائف فاشتغل فى قلم قضايا الدائرة السنية مترجما ، وسرعان ماتدرج النابغة فى مدارك هذا العمل حتى أصبح مديراً لأقلام القضايا بهذه الدائرة ، خلفاً للمغفور له محمد فريد بك

لو قلنا هنا أن طلعت حربا اشتهر بالدقة فى عمله ، لما جئنا بجديد بعد أن عرف العالم أن أدق رجل من رجال الأعمال فى مصر هو « طلعت حرب » ، لكن هناك واقعة معينة تقدم البرهان المادي على ما عرف به من الدقة مبكرا

كان بوش باشا مفتشا عاما للدائرة السنية ، ثم اختير عضو مجلس الادارة المنتدب لشركة كوم امبو ، وكان بوش باشا فى عهد تفتيشه بالدائرة السنية قد عرف طلعت ، وعرف فيه كفاءته الفريدة الممتازة . فلما تطلبت الشركة — شركة كوم امبو — مديراً كفؤاً لمركزها الرئيس بالقاهرة ، لم يتردد فى اختيار طلعت حرب لهذا المنصب الكبير الخطر ، الدقيق المسئولية

لم يقف اعتراف الزمن بدقة طلعت حرب وكفايته منذ صباه عند هذا الحد فى عهد شبابه ، بل إن الشركة العقارية المصرية « التابعة لبنك اخوان سوارس وررلو وقطاوى ومنشه وغيرهم » قد اختارته فى الوقت نفسه ليتولى ادارتها

كذلك حولت يد الاقدار الساحرة مجرى حياة طلعت حرب من ساحة القانون الى ساحة الاقتصاد ، وكذلك بزغت شمس الزعامة الاقتصادية من بين يديه ، فأخذ يهتدي بهديه فى حياة الاعمال كل من اتصل به من الناس — أخذت كفاءته الادارية طريقها الى الدوائر العملية جميعا ، فاستعانت بمؤهلاته وخبرته دوا ٌر كثيرة ليقيل عثراتها ، ويصلح ماأفسد الدهر من ماليتها ، وإنا لنذكر منها على سبيل المثال دائرة سلطان باشا

كان عمر سلطان باشا من أغنى أغنياء مصر ، وكانت دائرة أعماله لسعتها تتطلب ادارة قوية غير عادية . وكان الرجل صديقا حميا لمحمد طلعت حرب ، فدعاه للاشراف على أعمال دائرته ، فتولى هذا الاشراف بلا قيد ولا شرط ولا مقابل

وكان فى أسرة سلطان باشا شاب قد اجتذبته يد طلعت الذهبية الى ساحة الحياة الاقتصادية الفسيحة ، فسار فيها رائدا ويداً يمنى للزعيم ، ذلك هو المدير القدير الدكتور فؤاد بك سلطان

ضحى الاسلام

تأليف الاستاذ أحمد أمين. الجزء الثالث

طبع بمطبعة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٤٠٠ من القطع الكبير

ليس شك فى أن هذا الكتاب الفريد سيعد مرجعاً لجميع المؤلفين الذين سيؤلفون فى موضوعه أو ما يتصل بموضوعه فى المستقبل . وميزة المؤلف جلد لا حد له على بحث المواد الخامة فى الكتب العربية القديمة واستغلالها لاخراج كتاب يقرأ أو يفهم فى بحث الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة والفرق الدينية فى العصر العباسى الأول

وهذا هو الجزء الثالث الذي يبحث الفرق الدينية من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج وأدبهم ومقامهم السياسى . والمؤلف يعرضهم فى نزاهة تامة ثم ينتقد . وكان يمكنه أن يغفل الانتقاد لأننا فى عصرنا الحاضر خلو من المقياس الذى نقيس به هذه الفرق من ناحية العقائد التى آمنوا بها ودافعوا عنها . وقد عنى بوضع فهارس أبجدية مفصلة تسهل على الباحث الاهتداء إلى الاسماء والموضوعات . وقد قال فى آخر الكتاب :

وبعد فهذه صورة للمتكلمين ، عرضتها كما فهمتها ، وكما أرشدنى البحث الصادق عنها ، أثبت ما فيها من خير وشر ، ونفع وضر ، فان أصبت فالله أشكر ، وإن أخطأت فحسبى أنى أخلصت النية وقصدت إلى الحق

وأ كثر ما أتوقع أن يعتب علىّ اخوانى من الشيعة فيما سلكت من نقدهم ، وتزييف بعض آرائهم ، وأن يعجبوا من دعوتى الى الوئام والوفاق ، ثم أتبع ذلك بشىء من النقد والتجريح

فاليهم أقرر مخلصا أنى لم أقصد فى كل ما قلت إلا ما اعتقدت حقا وصوابا ، وجاهدت نفسى ألا أتأثر بالنى وعادتى ومذهبى ، فلا أنصر رأيا سنيا لسنيته ، ولا أجرح رأيا معتزلا لاعتزاله ، أو شيعيا لتشيعه . وأظن أن القارىء رأى معى أنى قد أنبذ الرأى السنى وأرجح عليه الرأي المعتزلى أو الشيعى . ولو كنت أتعصب لمذهب لا نتصرت له فى كل أقواله ، ودافعت عنه فى جميع آرائه ، ولكنى رأيت نصرة الحق خيراً من نصرة المذهب ، فلعلهم بعد ذلك ينصفون فيقرأون قولى فى هدوء وطمأنينة ، ويأخذون منه ما تستحسنه عقولهم ، ويردون كذلك فى هدوء ما لا يستحسنون ويقرعون حجة بحجة ، وبرهانا ببرهان ، على أنه ليس الغرض الاسمى مقارعة الحجج بالحجج ،

والاعتزاز بالغلبة ، إنما الغرض الاسمى التعاون على انهاض أهل هذه الملل ورفع مستواهم ، وتنقية الخرافات والاوهام من رءوسهم حتى ينشدوا الحياة الصحيحة ، ويتبوءوا من العالم المكان اللائق بهم

ثم أقرر ان هذا البحث الحر الطليق لا يتنافى والدعوة الى الوحدة والوئام ، فليس البحث الحر يدعو الى خصام إذا أخلص الجانبان ، وما ينبغي للخلاف بين العلماء واختلاف أنظارهم ونظرياتهم أن يفرق بين نفوسهم ويوقع بينهم العداوة والبغضاء . على أنه ان كان ولا بد من عداوة ، فمعاداة الناس أهون على نفسي من معاداة الحق

والآن أجمع عدتي في البحث ، وأدواتي في الدرس ، وأنتقل إلى العصر الذي يلي هذا وهو : « ظهر الاسلام » وأعني به المائة الرابعة من التاريخ الاسلامي ، وسيرى القارىء أنه عنصر أغزر علماً ، وأوسع نظراً ، وأسطع ضوءاً ، وأن الحركة العلمية والادبية فيه لم تتبع الحركة السياسية ، بل كانتا ككفتي الميزان ، رجحت الاولى وشالت الثانية

تأثير المركزية في التعليم

مؤلف بالانجليزية للدكتور رسل جولت اصدرته الجامعة الامريكية بالقاهرة . صفحاته ١٣٤ بالقطع الكبير

مؤلف هذا الكتاب هو عميد كلية الآداب والعلوم بالجامعة الامريكية . ويبحث المؤلف المشاكل التي تتعلق بالتعليم في مصر ومن هو المسئول عنها مصر أم فرنسا أم بريطانيا ؟ ثم يبحث موضوع البيروقراطية المركزية وهل هي الاصل في فساد النظام التعليمي . وهل المزاج الشرقي تلائمه الانظمة الفرنسية في التعليم . وهل نحن أهملنا سواد الامة حين اتخذنا الطرق الغربية . ثم ينتقد التعليم الابتدائي والتعليم الالزامي . ويبحث قيمة التعليم الحاضر من ناحية الاخلاق والشخصية والابتكار في الشباب المصريين . ونحو ذلك

والمؤلف لايقتصر بحثه على التعليم كما هو في مصر بل هو يفلسف ويبحث الاغراض العامة للتعليم . وهو هنا منير يقدم للقارىء خلاصة الاراء الحديثة في التعليم المجدي . وهو يكتب كما يكتب الامريكيون بلا لف ولا دوران ولا مقدمات ولا ثرثرة بلاغية . ولذلك فان القارىء لايخرج من كل صفحة بفائدة بل هو يستنير من كل سطر من سطوره

بقلم سلامه موسى

فى الحياة والعمل

مستوى الصحافة ينحط

كان من أثر المطاردة التى عاناها كبار الكتاب أيام وزارات الطغيان أن عطلت صحفهم، جرائد كانت أم مجلات. فخلا الميدان لصحف أخرى لاتعارض المستبدين ولا تنتقد الطغاة ولكنها تعتمد على نشر الحوادث المثيرة فى غير السياسة وتطلب جمهوراً من القراء غير السياسيين

ثم جاءت وزارتا نسيم باشا وعلى ماهر باشا فاستخدمت عدداً كبيراً من الصحفيين فى دوائر الحكومة. وكذلك فعلت الوزارة الوفدية الحاضرة فأصبحنا واذا بالصحافة خالية أو كالخالية من الكفاءات التى كانت تغذوها. وظهرت لهذا السبب نزعات جديدة فى الجرائد والمجلات تدل على انحطاط المستوى الثقافى والاخلاقى

فن الجهة الواحدة نجد أن الجريدة اليومية قد أصبحت تنزع الى الارجاف فى اختيار اللفظ كما فى اختيار البنط الذى يطبع به العنوان وتنزع الى الارجاف فى اختيار الخبر والصورة. وغاية المحرر أو المخبر أن يصل الى القارىء بأيسر طريق مع التهور فى ايراد الخبر والمبالغة فى وضع تفاصيله الحقيقية أو الخيالية. ومع ايثار الغرائب الكاذبة على الحقائق الواقعة. فقبل أيام قرأنا فى احدى هذه الجرائد خبراً عن قسيس تزوج امرأة أخرى غير زوجته الاولى وجرد من الشكة الكنسية، فتحرينا التفاصيل فى هذا الخبر فوجدنا ان هذا الزواج وهذا التجريد قد وقع كلاهما قبل سنوات ولكنه أورد فى الجريدة على انه وقع فى الامس

والفرق بين الكاتب الكبير والكاتب الصغير أن الأول يعرف كثيراً ولكنه يتحفظ ويعتدل وليس اعتداله عن عجز بل عن ضمير مثقل بالواجبات والتبعات. ولكن الكاتب الصغير يرجف ارجافا يشبه صياح الصبية فى اللعب والشجار، وقد شاعت بيننا هذه الايام جرائد الارجاف لكثرة هؤلاء الكتاب الصغار

ونكبة البلاد فى المجلات أكبر جدا من نكبتها فى الجرائد اليومية . فان بعض المجلات لايتورع صاحبها من أن ينشر صورة زاهية الالوان لاحدى المومسات فى وجنتيها اغراء وفى لحمها الموضح فى ابعادها المختلفة مايثير الشهوة الجنسية — نقول ينشر هذه الصورة على الصفحة الاولى كأن صاحبتها فنانة لم يخلق الله أبدع منها . ثم تقلب صفحات المجلات بعد ذلك فتجد قصة الزوجة التى زنت مع الخادم . وقصة الفتاة التى فرت مع السواق . ويلى هذه الحوادث مناقشات عن القبلة وهل يجوز للفتاة أن تقبل خطيبها ؟ وأمثال ذلك . ومثل هذه المجلات تتفشى بين شبابنا وفتياتنا فتفت ت أخلاقهم تفتيتا وتملأ خيالهم بأقذر الصور وتجعل كل قارىء من قرائها يزني بقلبه ويعبث بكرامته وطهارته . والشاب الامي والفتاة الامية يفضلان الشاب والفتاة الذين يقرآن هذه المجلات

وقد يقال هنا أن فى أوربا مثل هذه المجلات القذرة . وهذا صحيح . ولكن أوربا ليست أرضا بكرا للفساد . فانه يطبع مثلا كل يوم — أجل كل يوم — فى اللغة الانجليزية مائتا كتاب وأمام هذا السيل الجارف من الثقافة الجديدة لا بأس من أن يتسامح القوم فى غثاء أو زبد يطفو من وقت لآخر ويذهب جفاء . ولكننا نحن محرومون من هذه الثقافة الجديدة ، ولذلك فان اغراء هذه المجلات القذرة كبير جدا ومضر جدا

ولسنا ندعو الى تقييد الحرية الصحفية بقوانين جديدة تمنع هذه المجلات من نشر هذه الاقذار لان القيود تؤذي المجلة الحسنة كما تؤذى المجلة السيئة ، ولكنا نعتقد أنه يمكن مصلحة الامن العام أن ترفع الدعوي العمومية على المجلات التى تنشر بعض الاخبار والصور التى تنافى الاخلاق . ثم نعتقد أيضا أنه يمكن الحكومة ألا تولى رعايتها من حيث الاعلانات الحكومية والقضائية هذه المجلات حتى يقتصر شرها على دائرة صغيرة . وبعد ذلك يجب على الصحف الجدية ان تعلم جمهورها وتدأب فى تربيته حتى يجد اللذة فى الخبر الموزون والمقال المعقول

أدب العرب والثقافة الحديثة

تقوم وزارة المعارف هذه الايام بطبع الاثار العربية الادبية . وقد استطاعت الى الان أن تخرج اجزاء من نفح الطيب وابن خلكان ومعجم الادباء . وهى ماضية فى طبع الكتب الاخرى التى سوف تبلغ خمسين كتابا فى متوسط عشرة مجلدات لكل كتاب أى أنها ستخرج نحو ٥٠٠ مجلد عربى

ولا غبار على هذا المجهود . فانه نافع ولكن يجب ألا نبالغ فى المنفعة اذ هى لاتتجاوز العلم بالتاريخ ، وبالتاريخ فقط . فان الشاب المصرى الذى يقرأ واحدا من هذه الكتب لايزداد عتادا وسلاحا لهذا العصر فى تنازع البقاء الذى يشترك فيه مع جيله من أمته أو من الامم الاخرى . نعنى بذلك أنه عندما يقرأ هذه الكتب لايمكنه أن ينجح فى زراعة القطن أو الاتجار به ولا فى نسج القماش أو بيعه ولا فى بناء بيت أو تأثيثه ولا فى ترميم سلك كهربائى ولا فى فهم نظام الحكومة أو سير السياسة أو غير ذلك من الشئون العصرية

فان الشاب المصرى يمكنه أن يقرأ هذه الخمسمائة من المجلدات العربية التى تقوم بطبعها وزارة المعارف ثم يخرج منها بعد درسها الدرس الحق العميق وهو عاجز أتم العجز عن أن يفوز فى تنازع البقاء الحاضر . ومع ذلك نقول أن طبع هذه الكتب مفيد . ونعنى هنا الفائدة التاريخية فقط . فاننا حين نقرأها نقف منها على فترة معينة من الزمن فى بقعة معينة من الارض هى العالم العربى أو بعض العالم العربى فى القرون الوسطى

ولكن اذا قلنا ان هذا العمل نافع فان انفع منه أن يعرف الشاب المصرى الثقافة الحديثة التى تزوده بالعتاد والسلاح لكى يعيش فى القرن العشرين . نعنى انه انفع للشاب المصرى أن يقرأ كتابا فى تأثيث الفندق أو تمليح السمك أو صنع الخبز أو أقلام الرصاص من أن يقرأ ابن خلكان أو ابن مسكويه . واذا كانت وزارة المعارف ستنفق عشرين أو ثلاثين الفا من الجنيهات على احياء الآداب العربية القديمة فانها تحسن كل الاحسان اذا هى انفقت مثل هذا المبلغ على الثقافة الحديثة بترجمة نحو مائة كتاب مما ينفع الشبان وتعلمهم كيف يحصلون على العيش وكيف ينظرون النظرة الحديثة الى الدنيا

لقد كان كل من محمد على واسماعيل باشا أعمق نظراً فى قيمة الثقافة . فان الاول عنى بالثقافة الحديثة باعتبار أنها ضرورية ولم يعن بالثقافة العربية القديمة باعتبار انها كمالية . أما الثانى فقد عنى بالثقافتين . ولكن وزارة المعارف تعنى لنا الان بالثقافه القديمة فقط . وهى مخطئة . فان الثقافة العربية بعيدة عن همومنا الحاضرة سواء أكانت اقتصادية أم اخلاقية أم اجتماعية كما هى بعيدة عن الصبغة التعليمية التى يمكن ان يتعلم بها الشباب ماينتفع به فى تنازع البقاء

وهذا الشرق الناهض انما ينهض بمقدار مايعرف ابناؤه من الثقافة الحديثة أى من البيولوجية والفيزياء والكيمياء والميكانيات والاقتصاديات السيكلوجية . والامة التى تعرف هذه العلوم وأمثالها

تعيش عيشة راقية سليمة من الامراض قوية فى المال والجاه . وهذا هو الآن شأن اليابان وتركيا من الامم الشرقية الناهضة . ولكننا مهما درسنا ابن خلكان وابن مسكويه والطبري والقرى وغيرهؤلاء لانستطيع أن نزيد صادراتنا مليما واحدا ولا نستطيع ان نستخدم العاطلين ولا نستطيع ان نعيش العيشة الحرة السعيدة

شيانج كاى شيك

ذكرت الصحف أن القائد الصيني الثائر فى سيانفو قد اعتقل رئيس الوزارة « وهو أيضا وزير الحربية الصينيه » المستر شيانج كاى شيك . والصين الجديدة كلها والعالم المتمدن كله يعلق الآمال فى النهضة الصينية على حياة هذا المعتقل شيانج كاى شيك

وشيانج كاى شيك هو الآن — أو كان قبل أن يعتقل — ديكتاتور الصين يهيىء لها الدستور الذي سيذاع فى السنة القادمة . وهو رجل مسيحي كما كان سون يات سون الذي الغى الامبراطورية وأعلن الجمهورية سنة ١٩١٢ والمسيحية دين غريب على الصينيين الذين يعرفون بوذا وكنفوشيوس الاول يأخذون منه صوفيتهم والثاني يأخذون منه أخلاقهم . ولذلك فان رضاهم برئيس وزارة مسيحي هو أشبه الاشياء برضانا برئيس وزارة بوذى . ومن هذه المقارنة يمكن القارىء ان يفهم شيئا من هذا المزاج الصيني الذي لايغضب من المخالفين ولا يتأنق فى وضع الفروق والحدود

وشيانج كاى شيك يدعو الصينيين الى العمل لثلاثة أشياء هي شعار النهضة

وهي : ١ — الاخلاق الجيدة ٢ — الطرق الجيدة ٣ — القنابل الجيدة

فاما الاخلاق فانه يحض الصينيين على البساطة فى العيش وتجنب الترف . كما يحض الشباب عامة والموظفين خاصة على الامانة والنزاهة والانصاف مع الجد والتقشف والطاعة للنظام ، وهذه صفات كانت معدومة فى الصين . فان الرشوة كانت سبيل المعاملة بين الموظفين والجمهور ، كما أن الكسل وحب الترف كانا ديدن الاغنياء والحكام . وهذه الاخلاق تشبه الاخلاق التى يدعو اليها غاندى فى الهند ، ويزيد الشبه عندما يقول شيانج كاي شيك للطلبة انه لايجوز لهم ان يركبوا الركشة وهي العربة التى يجرها انسان بدلا من حصان أو حمار . وهذه العربات كثيرة فى الصين واليابان . بل يقول هذا الزعيم للطالب أن الطالب الصيني يجب ألا يمارس هذا الترف مالم يجر

هو نفسه هذه العربة لمن هم أسن منه

وأما الطرق الجيدة فانه يدعو اليها بقلبه وعقله وأموال الدولة . وقد أنشأ الى الآن من الطرق ما يبلغ طوله ٥٠٠٠ كيلو متر وهى كلها صالحة للنقل والحركة على الاتومبيلات . وعنايته بهذه الطرق ترجع الى أن معظم الكوارث التى تقع فى الصين هي القحط أو الغرق . وهذه الكوارث تصيب أقاليم نائية فيتعذر إنقاذها بالاقوات التى ربما تكتظ بها الصين فى مكان آخر . ثم أن طوالع السياسة اليابانية تدل على أن مطامعها فى الصين لاحد لها وأنها أى الصين سوف تحتاج الى الطرق الجيدة لنقل جيوشها

وأما القنابل الجيدة فان شيانج كاى شيك يطلبها من الصينيين ويؤسس لها المصانع كلما أمكن ذلك . وهذا بالطبع توقعاً لحرب بين بلاده وبين اليابان . وقد كان هذا الزعيم يمارس خطة الخد الايسر بعد الخد الايمن كلما لطمته اليابان ولكنه فى غضون ذلك كان يستعد للمقاومة . وعدته هي الاخلاق الجيدة والطرق الجيدة والقنابل الجيدة

وقد كان معتقلا عند القائد الثائر فى سيانفو . ويذكر القراء ان الحجة التى يحتج بها هذا القائد الثائر ان الصين قد بالغت فى التسامح مع اليابان وأنها يجب أن تتحد مع روسيا لمقاومتها . فأما من حيث المبالغة فى التسامح فانه محق . ولكن شيانج كاى شيك يبرر هذا التسامح بعجز الصين عن المقاومة وهو لهذا السبب يحض على صنع القنابل وشق الطرق . أما من حيث التحالف مع الروس فان شيانج كاي شيك لا يطيق التفكير فى هذا الموضوع لأنه يمقت الشيوعية

الاوقاف الاهلية

تألفت لجنة برياسة عبد الحميد الشوار بى بك للسعي فى حل الأوقاف الأهلية . وجميع أعضاء هذه اللجنة هم بالطبع من المتكوبين بالوقف الأهلي . وقد سبقت محاولات عدة لالغاء هذا الوقف ربما كانت أخراها تلك المحاولة التى قام بها الاستاذ يوسف الجندى سنة ١٩٢٧ . ولكن عهد الاستبداد الذى كان يقضى بعقد البرلمان وحله بلا نظام قضى على هذه المحاولة

وإذا كان شيء يدل على أن المؤسسات الاجتماعية تؤذى الناس أحياناً وتعرقل تقدمهم وتقيد حريتهم فان الوقف الاهلي يعد فى المقام الاول من حيث الاذى والعرقلة والتقييد . وإذا كانت

التقاليد أحيانا تعد من الكوارث التى تنكب بها الامم فان هذا الوقف واحد من هذه الكوارث التى تفشى الشقاء بين الاسر وتجيم الاولاد وتخرب البيوت وتبعث على الضغينة بين أعضاء الاسرة الواحدة وتجعل الرجل العاقل الرشيد فى مقام القاصر المعتوه الذى يجب ألا يتصرف والذى يجب عليه أن يخضع لادارة ناظر الوقف مهما استبد هذا أو طغى

والمتأمل لاحياء القاهرة يكاد يعتقد أن الوقف الاهلى لم يخترع إلا لتخريب البيوت فان ٩٩ فى المائة من الخرابات فى الاحياء الفقيرة يعود إلى هذا النظام حيث يشترك فى الخرابة نحو عشرين أو ثلاثين من الورثة الذين تصرفت بهم الظروف فتفرقوا فى مدن القطر فلا يجتمعون ولا يتعارفون ولا يشتركون فى رأى عن اصلاح هذه الخرابة واستغلالها : فتبقى وهى خاوية الا من الخفافيش والثعابين والفئران

ولو ألغى الوقف فجأة وأعيدت حرية التصرف إلى أصحابه ومستحقيه لانتعشت البلاد فى التجارة والصناعة . فان النشيطين من المستحقين سيشترون أو يبيعون وعندئذ تشرع يد الاصلاح والترميم فى محو هذه الخرابات . وعندئذ نرى الدور الحسنة تقام فى مكانها ونرى الناس الآدميين يسكنون هذه الدور بدلا من الخفافيش والثعابين والفئران

ان الوقف المعقول الذى تجيزه الامم المتمدنة العاقلة هو ذلك العقار الذى يحبس ريعه على عمل خيرى كانشاء مستشفى أو مدرسة والانفاق عليهما . فان هذا العمل خير كله . ولكن حبس العقار على الورثة الذين يبدأون بعدد قد يكون دون العشرة ثم يزيدون بعد ثلاثين أو أربعين سنة إلى ستين شخصاً ، هذا الوقف كله شر لانه يجعل الموتى يحكمون الاحياء ويقيد التصرف والمعاملة بقيود تعاكس الطبيعة والكفاءة وتؤدى فى النهاية الى تفتيت العقار أجزاء مكروسكوبية لا ينتفع بها أحد

ولا يطلب بقاء الوقف الاهلى غير بعض الآباء المتوهين الذين دخلوا فى خرف الشيخوخة . فهؤلاء كلما أحسوا دبيب الموت اندفعوا فى عناد يستبقون به — فى الوهم على الاقل — حياتهم وتصرفهم فى أملاكهم . وهذا العناد يبدو فيما يسلطونه على ورثتهم من الاستبداد هذا بالحرمان التام من غلة العقار وذلك بالحرمان من النظارة وأشباه ذلك مما تكتظ به عقود الوقف . وكثير من البؤس الذى يلحق الفتيات المصريات يعود الى هذا النظام الذى يؤدي الى حرمانهن أحيانا من حقهن فى الميراث ، وكثيرا ما تحرم الفتاة من الزواج لانها تنشأ فى أسرة غنية لها مقام اجتماعى معين

ثم يأتي والدها وهو في خرف الشيخوخة فيقف عقاراته على الذكور دون الاناث فلا تجد المسكينة من يتزوجها من طبقتها وتضطر الى قضاء حياتها في عزوبة اجبارية

هذا النظام السيء يجب أن يلغى فانه لا يتفق مع الحرية التى تنشدها لعقلاء من أبناء البلاد ، وهو أثر كريه من القرون المظلمة التى تجاهد في الخروج منها ولما تخرج

القوة في أسوان

يدخل التفكير في استغلال مساقط المياه في أسوان الى حيز العمل قريبا . فان وزيرين من وزرائنا انتهزا فرصة العيد فقضيا أجازتهما عند هذا السد العظيم يتأملانه عن معاينة ويتخيلان ممكناته عندما تضبط مياهه الساقطة بمولدات كهربائية يمكن استغلالها في شئون مختلفة مثل ادارة وتسيير القطرات واضاءة المنازل والطرق واستخراج السماد من الجو

والتكاليف الابتدائية لضبط المياه الساقطة كبيرة . ولكن جميع الامم التى استخدمت هذه المياه مثل ارلندا والولايات المتحدة وكندا والمانيا قد اعترفت بالفائدة الكبيرة التى تعود من هذا العمل . فان الطاقة الكهربائية تباع بأثمان منخفضة تحمل الانتاج الصناعي بل الزراعي رخيصا فلنجرؤ اذن ولنتكهن قليلا

فان المنطقة التى يقوم سد أسوان في وسطها هي أفقر مناطق القطر المصرى ذلك لان الارض الزراعية على ضفتي النيل شمال السد وجنوبه هي شريطان ضيقان يسيران بحذاء النيل كأنهما ساحلان صغيران . والسكان هناك في فقر عظيم . ففي الشمال نجد مصريين يتكلمون العربية يعيشون أشق العيش وأشظفه في مديريتي اسوان وقنا . وفي الجنوب نجد مصريين نوبيين يتكلمون النوبية التى تمت الى لغة آبائنا الفراعنة بعشرات الالفاظ . وهم أيضا في الحضيض من الفقر. ولذلك يهجرون بلادهم مثل الدر وغيره الى القاهرة لكي يؤدوا أحقر الاعمال

فاذا وضعت الانجة على هذا السد وأحيلت المياه الساقطة الى طاقة كهربائية أمكن أن تحول هاتان المديريتان الفقيرتان الى مراكز صناعية غنية . فيمكن مثلا انشاء مصانع لنسج القطن أو لصنع الريون أو الورق أو غير ذلك . لان المياه تعود كأنها منجم من الفحم يبعث الحياة الصناعية حوله بانشاء المصانع التى تنجح وتنتج بضائع رخيصة الثمن لانها تستهلك الطاقة الكهربائية بأثمان رخيصة . ولا يقتصر انخفاض الاثمان على المصانع لان القطرات يمكنها أن تسير بالطاقة الكهربائية

أيضا بدلا من الفحم أو البترول . وعندئذ يمكن الاسواني أو القناوى أن يسافر من حدود السودان الى حدود جرجا بأجور منخفضة . بل أكثر من ذلك . يمكن ربة البيت النوبية أو الاسوانية أو القناوية مهما كانت فقيرة أن تضيء منزلها بالمصابيح الكهربائية وان تطبخ طعامها على موقد كهربائي نظيف ليس فيه دخان ولا يحتاج الى عناء التنظيف وحمل الوقود . وبكلمة أخرى سوف تعود اسوان وقنا أغنى المديريات فى القطر المصرى وهما الآن افقرهن . بل سوف تنتقل الحركة الصناعية الآلية كلها من أنحاء البلاد اليهما . والقليل من الارض الذى يزرع فيهما سيكون الاعتماد فى زراعته على الطاقة الكهربائية أيضا ترويه وتحرثه وتحصده

وماذا يكون من أثر هذه الحركة الصناعية فى الزراعة فى سائر انحاء القطر ؟

سيكون من أثرها انها ستجذب الفلاحين بمئات الالوف من الوجهين البحرى والقبلى فيؤثر هذا فى الزراعه أثرا سيئا وترتفع أجور العمال الفلاحين لقلتهم وكثرة الطلب عليهم . ومتى حدث ذلك تنخفض أثمان الارض الزراعية . فان الوهم السائد ان تربتنا أجود التربة الزراعيه فى العالم . ولكن هذا الوهم لايطابق الحقيقة : ويكفى ان يتأمل الجائل فى الارض الزراعيه فى أوربا لكى يعرف أن التربة الاوربية أجود من تربتنا فى بقع كثيرة . فان فدان القمح مثلا يغل نحو عشرة أرادب فى جملة أقطار أوربية . وكذلك الشأن فى محصولات أخرى

وانما يباع الفدان الواحد فى مصر بمائتى جنيه وفى أوربا بعشرة جنيهات أو بعشرين جنيها لسبب واحد ليس له ثان هو أن الفلاح المصرى الذى يزرع أرضنا يعيش بالكفاف من الذرة أرخص الحبوب فى العالم وطعام الماشية فى الولايات المتحدة . ولذلك فان غلة الارض يذهب معظمها الى المالك دون العامل الاجير . أما فى أوربا فان العكس هو الواقع . لان الفلاح العامل هناك يفطر على اللبن واللحم ويأكل خبز القمح ويشرب النبيذ الغالى ولذلك يتقاضى أجرا عاليا على الزراعة ولا يترك للمالك الا القليل جدا من غلة الارض . فلذلك تنخفض أثمان الارض هناك وتعلو عندنا

فاذا نشأت الحركة الصناعية المنشودة فى مديريتى اسوان وقنا ورحل اليها مئات الالوف من العمال الفلاحين . وفى الوقت نفسه يستغل الاغنياء أموالهم فى المصانع الجديدة هناك فيكون من أثر ذلك انخفاض قيمة الارض الزراعية فى جميع أنحاء القطر حتى لايزيد ثمن الفدان على عشرين أو ثلاثين جنيها

هذه بعض تكهنات مرتجلة قد تحتاج الى التنقيح فى المستقبل

أزمة الذكاء

في أسبانيا الآن مايقرب من ستين الف جندي ايطالي وألماني وروسي وغيرهم من الاجانب الذين وفدوا على أسبانيا يحاربون في صفوف الجمهوريين الذين يقودهم كاباليرو ، وفي صفوف الفاشيين الذين يقودهم فرانكو ، والذخائر والاسلحة تنهال على الفريقين والتقتيل يدور بجد وحماسة يتفقان مع سرعة الخراب والجوع الذى يعانيه السكان من هذه الحرب

وتبدو أسبانيا كأنها التجربة الاولى لحرب أوربية قادمة يزول منها الغموض وتسفر عن صراع واضح بين الشيوعية وبين الفاشية . وعندئذ قد ينقسم العالم قسمين تشترك فيه الثورات الداخلية مع الحروب الخارجية . ومن الآن يجرى الاستعداد للحرب في كل مكان بل الغازات الخانقة تحضر وتخزن تحت الارض لكي يكشف عنها حين يعلن عن الجحيم الذى سوف يتلظى فيه الناس بهذا النزاع بين الفاشيين والشيوعيين

وما هو علة هذا النزاع ؟!

هناك علل كثيرة . ولكن مرجعها كلها الى أن ذكاء الامم الاوربية لايتكافأ والمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تراكمت منذ أن شرعت بريطانيا تعلم الامم صنع الاشياء بالحديد والنار بدلا من صنعه بالايدى . فان العصر الصناعى الذى افتتحته بريطانيا للعالم قبل نحو ١٤٠ سنة قد أخذ رويدا رويدا يزيد المشاكل ويعدد ألوانها . فأصبحنا واذا بنا نرى وفرة في الانتاج وقلة في الاستهلاك والى هاتين عمالا عاطلين

ونحن نصف الكساد الذى عم العالم في السنوات الست الماضية أنه أزمة اقتصادية . ونصف الحال التعسة التى تعانيها أوربا بأنها أزمة سياسية ، ولكن الحقيقة أن خلف كل هذا أزمة في الذكاء . وذلك أن أذهان الساسة والقادة عاجزة عن حل المشكلات القائمة ، وقد عجزت عن اختراع المخترعات الاجتماعية التى تتكافأ مع المخترعات الآلية ، فان المصانع والمزارع تنتج أكثر من حاجة الناس الى الطعام واللباس والمسكن . ومع ذلك يقاسى الناس الجوع والعرى . فعلام يدل هذا ؟ يدل على قلة الذكاء وعلى أن المدارس والجامعات لا تدرب أذهان الطلبة على حل المشكلات بل التأمل لما يعلم في هذه المعاهد لا يتمالك من احتقارها للمواد العفنة التى تدرس فيها والتى تبعد

بعداً شاسعا عن مشكلاتنا . وذلك ان الثقافة لا تزال الى الآن معدودة كأنها ضرب من الترف الذى يتلطف به الذهن للتسلية واللهو : وهى ليست مواد حية متصلة بالحضارة الحديثة . ولذلك يتخرج الطالب وهو عاجز تمام العجز عن حل مشكلة اجتماعية أو سياسية . وقصاراه أن يتلقف الحلول السخيفة من أفواه السياسيين والصحفيين والمؤلفين الذين يضطرون لكسب عيشهم ان يسيروا وراء الجماهير بدلا من أن يقودوها . مثال ذلك انه ليس فى الامبراطورية البريطانية كلها صحفى أو مؤلف أو سياسى يمكنه أن يصارح الجمهور بأن الامبراطورية لا فائدة منها للانجليز وان بريطانيا كانت تكون أسعد حالا بدونها وان كل ما يقال عن هذه الامبراطورية انما هو أحاديث عجائز وأطفال . وان دنمركا التى لا تملك شبر أرض خارج بلادها أسعد حالا من انجلترا

ولكن اى معلم يجرؤ على ان يقول هذا الكلام فى مدرسة انجليزية

ان هذا المسكين يفعل العكس ويقرىء صبيانه اشعار كبلنج عن الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس والعلم الذى لا ينكس وسائر هذه البلاهات

والى سوء التعليم يضاف سبب آخر لقلة الذكاء هو وفرة التناسل فى الطبقات الدنيا وقلته فى الطبقات العليا فى جميع الامم المتمدنة . فان المغفلين يغمرون الاذكياء . وسلطانهم واضح فى الصحف التى لا تتحدث إلا عن الزوجة الزانية والنجمة السينمائية حتى اضطرت الحكومات التى استبقت قليلا من الذكاء فى وزرائها مثل ألمانيا واسوج والولايات المتحدة الى خصاء بعض الناس حتى لا يتناسلوا ويزيدوا الغباء

وخلاصة القول أنه ليس فى الدنيا أزمات سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو اقتصادية وانما فيها أزمة واحدة هى أزمة الذكاء وعلاجها ايجاد مدارس وجامعات صحيحة وتشجيع الطبقات الذكية على التناسل وتثبيط الطبقات البليدة عنه

هدية للرئيس

ليست قلة الثراء عيباً ، وليس الرئيس الجليل غنياً . ولكن كل مصرى يعرف أن المقام الذى يملأه مصطفى النحاس باشا فى الامة أو فى الدولة يحتاج الى تكاليف كبيرة . واذا لم تؤد هذه التكاليف على أتم ماينتظره الجمهور فان منصب الزعامة أو منصب الرياسة لا يكون عند ظن الجمهور به

ونحن نفخر جميعنا بان زعيمنا ورئيسنا عاش للوطن ولم يعش لنفسه واقتنى الاستقلال لمصر ولم يقتن مالا ولا عقارا لنفسه بل نستطيع أن نزيد على ذلك وأن نقول أن مصطفى النحاس باشا اضطر قبل ثلاث أو أربع سنوات الى أن يقترض من بنك مصر حين كان الطغاة الذين وضعوا السلاسل على أبواب البرلمان وهى أحق أن توضع فى أعناقهم يتقلبون فى الثراء الذى لا يعرف حداً

وقد اقترح أحدهم أن تشترى الامة بيتاً تهديه الى الرئيس . ولكن هذا الاقتراح لم ينل تأييدا من أحد . إذ تلابسه ظروف لاتتفق وكرامة الرئيس . وأولى منه أن تقوم الامة بجمع التبرعات لاقامة مؤسسة تذكارية يطلق عليها اسم النحاس وتعيش لخدمة أبناء الامة فى التعليم أو التمريض أو البحث العلمى أو غير ذلك

ولكن البرلمان هو وحده الذى يجب عليه أن يقدم للرئيس الجليل هدية مالية تتفق وكرامة الرياستين رياسة الأمة ورياسة الدولة . وللبرلمان سابقة بل سوابق يمكنه أن يستنير بها من البرلمانات الاجنبية . فان اللورد كرومر حين غادر مصر لم يكن يملك مايعيش به مما يصون كرامة لورديته وشيخوخته ويتفق وسابق خدمته لوطنه ولذلك قرر البرلمان منحه خمسين الف جنيه . وكذلك فعل هذا البرلمان مع اللورد كتشنر ومع عدد كبير من قواد الحرب الكبرى

وقد سمعنا من يبرر اهداء بيت للرئيس بما حدث فى انجلترا وهذا خطأ . فان الذى حدث هناك أن السر ارثور لي أهدى الى القائم برياسة الوزارة بيتا فى الريف يبعد نحو خمسين كيلومترا عن لندن وقد ألحق به ١٥٠٠ فدان بها البحيرة والجبل والحديقة والغابة . وهذا البيت هو بيت تشكرز وهو ليس قصراً فخما ولكنه منزل ريفى قد أعد بوسائل الرفاهية والراحة . وليست الهدية لشخص الرئيس بل للرئيس كائنا من كان . بل لقد احترس السر ارثور لى وفكر كثيرا فى المستقبل حتى انه شرط فى وصيته انه اذا انفصلت الامبراطورية وأصبحت لها وزارة خاصة فان هذا البيت يخص رئيس وزارة الامبراطورية دون رئيس وزارة بريطانيا

ولسنا نجد أى غضاضة فى أن يهدى البرلمان لشخص مصطفى النحاس باشا مبلغ خمسين الف جنيه تقديراً لخدمته لبلاده ولكنا نجد هذه الغضاضة فى جمع التبرعات من الجمهور لاهداء بيت .
وهذا هو عين ماسمعناه من الأستاذ زهير صبرى المعروف بذكائه وحرصه على كرامة الزعامة

وحسن أن يقوم البرلمان بهذا الواجب الوطنى . فان كرامة الرياسة هى كرامة الوطن . وللرياسة تكاليف واعباء لايجوز ان تؤدى فى نقص وعجز لقلة السند المالى

عقدة فلسطين

فى فلسطين مسلمون ومسيحيون ويهود . وكل من المسيحيين والمسلمين يؤمن بديانة عالمية يجوز للبشر جميعهم أن يدخلوا فيها ويعتنقوها ، ولكن اليهودى يؤمن بديانة وطنيه تشبه الديانه الهندوكيه ، اى أنها بالدم والسلالة ، فلا يمكنك أنت أيها القارىء المسلم او المسيحي أن تعتنق اليهودية لان الدم الذى يجرى فى عروقك ليس هو الدم اليهودى ، كما لا يمكنك أن تعتنق الهندوكية لانك لست من أبناء الطبقات الاربع الكبرى ، بل انت حتى لا يمكنك ان تكون منبوذا ، فلكي تكون هندوكيا يجب ان تولد هندوكيا ولكى تكون يهوديا يجب ان تولد يهوديا

وهذه العصبية الدينية الدموية تربط اليهود برباط قوى مخيف لجميع من يجاورهم فإنهم فى تنازع البقاء يعودون قوة متماسكة كأن الامة اسرة واحدة ، ومن هنا هذا النظام الحديدي الذى يعانيه منهم العرب من مسلمين ومسيحيين فى فلسطين . فان المسلم يبيع أرضه ولا يبالى وهو يفرح للثمن المضاعف الذى يؤديه له اليهود ، فيها ، وهو يترك الارض لهم وعنده أن ارض الله واسعة وان الدنيا هي قريته الكبرى له ان يضرب فيها ما شاء ، ولكن الارض التى تدخل فى حوزة اليهودي تغدو وكأنها ارض لشعب الله المختار فلا يجوز التصرف بها ولا يسمح أن تباع لغير اليهود حتي يتحقق حلم صهيون وتعود فلسطين كلها وطنا لليهود

وليس شك فى أن اليهود — اذا لم يجدوا مايعيقهم — سينجحون فى تحقيق هذا الحلم ، فإنهم يجمعون الاموال من اقطار العالم التى تشتتوا فيها فى اكثر من الفى سنة ، وهم يجمعون فى فلسطين جميع المهوسين بالوطنية اليهودية من ابنائهم ، وهؤلاء المهوسون يخدمون الصهيونيه اى مذهب الوطنية اليهودية فى فلسطين بروح الجهاد والتضحية ، ثم هم الى جانب هذا الهوس قد جلبوا احسن العلماء والصناع والفنيين واستحدثوا حركة صناعيه تعيش وتنمو الى جنب العرب كما تمت الامم الاوربية الصناعية الى جنب مستعمراتها تأخذ منها المواد الخامه وتستغل اجور عمالها المنخفضه وتبيعهم منتجاتها الصناعية

فهرست

فبراير سنة ١٩٣٧